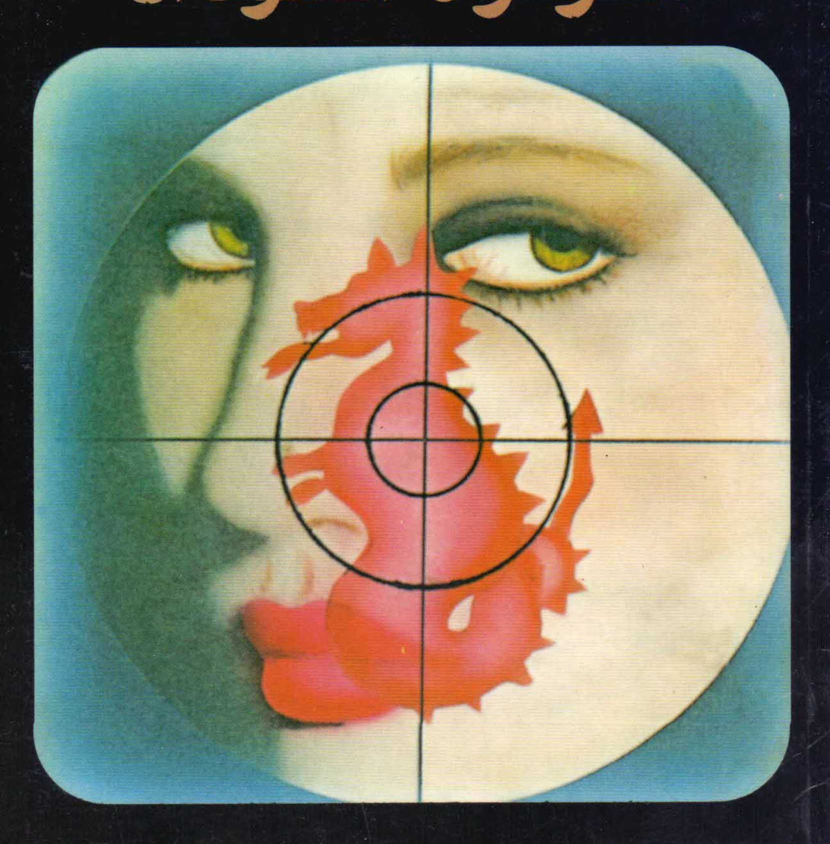
أرسين لوبين

اللّؤلؤة السوداء



مغامرات " ارسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة . وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم . والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلل وتكشف عن مرتكبيها .

تعد الروايات البوليسية التي تحمل اسم البطل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مطلع هذا القرن والتي كتبها الكاتب الفرنسي " موريس لبلان " وقد لاقت إقبالاً عظيماً من القراء وخاصة المهتمين بدراسة الجريمة وتحليل دوافعها وإحاطة اللثام عن مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة لينالوا الجزاء الرادع . لذلك احتلت رواياته وقصصه مكانة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهذا البطل (ارسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته الى الثراء وكسب المال او للثأر والإنتقام من خصومه . وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة .

إنه اللص الشريف الذي يمتلىء قلبه بالحب والخير للناس .

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان .

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في اوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة .

فلا عجب إن احتلت رواياته مكانة عظيمة في قلوب جميع القراء في كل أنحاء العالم .

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعرّبة

اللؤلؤة السوداء

(٦٣)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "ارسين لوبين"

الناشر

دارميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠م٠م٠

ص.ب 374 جونيه – لبنان

تلفون : 939 262 9 961 00

فاكس : 401 260 9 961 00

- ١ -

المحامي

ما كاد "جان باربيه" يثب من القطار في محطة "روين" حتى وجد المفتش "جانيمار" في انتظاره ..

كان "باربيه" رجلا طويل القامة ، ذا شارب قصير ، يرتدي دائما معطفا طويلا احال الزمن سواد لونه إلى خضرة .. وكان هذا المعطف الذي لا يفارق منكبي المحامي "باربيه" مصدرا دائما لهُزْءِ إخوانه المحامين وسخريتهم .. وكثيرا ما كان شباب المحامين يتراهنون فيما بينهم على الموعد الذي يحيل فيه "باربيه" معطفه إلى المعاش فكان الفوز بالرهان يقع دائما من نصيب المتشائمين ، الذين طالما قالوا على سبيل الهُزْءِ والسخرية إن "باربيه" متعاقد مع معطفه على الا يفرق بينهما غير الفناء ..

وكان "جانيمار" قد عرف المحامي "باربيه" في بعض القضايا التي قام بتحقيقها بصفته مفتش بوليس .. واشترك معه "باربيه" في تحقيقها بصفته محاميا متطوعا لخدمة الجاني او المجني عليه .. وقد اظهر "باربيه" في جميع المناسبات من الذكاء والحنكة والدهاء ما جعل "جانيمار" يعتمد في كثير من الأحيان على سداد رايه وبعد نظره وتحليله الصحيح للقضايا التي يحوطها الغموض .

بيد أن شيئا واحدا كان يثير دهشة "جانيمار" وريبته في امر المحامي "باربيه" .. وذلك هو الطريقة التي كان المحامي يخدم بها عملاءه .

لم يكن "باربيه" يقتضي من عملائه اجرا على الإطلاق ، بل كان دائما يعمل متطوعا ويصرح بانه لا يبغي غير إحقاق الحق ، وبانه يقدم خدماته مجانا لكل من يطلبها ويحتاج إليها ..

غير أن "جانيمار" كان يشعر شعورا مبهما بان لـ "باربيه" طريقة معينة في الحصول على اجره بوسائل غامضة كوسائله في حل المعميات ، وإماطة اللثام عن اسرار القضايا المعقدة ، وان بعض هذه

الوسائل مما لا يقره القانون .. ولكنه حاول - عبثا - ان يوقفه موقفا حرجا ، لأن "باربيه" كان يجد دائما مبررا مشروعا لوسائله غير المشروعة .

أسرع "جانيمار" إذن إلى صديقه "باربيه" وشد على يده .. وقال له بغير مقدمات :

- يجب الا نضيع لحظة واحدة.. فقد يتحرج الموقف بين دقيقة واخرى ..

فقال "باربيه" وهو يبتسم :

- ربما كان الموقف أحرج مما تظن .. ومهما يكن من امر فإنني لا أعرف عنه شيئا .. لقد تلقيت برقيتك فجئت في الحال بدون أن اعرف لماذا دعوتني .

فقال مفتش البوليس :

- هكذا أردت الا تعرف شيئا قبل أن اراك ..

- أما زلت ترتاب في يا "جانيمار" ؟

- إنني ارتاب فيك دائما يا "باربيه" .. وأرتاب بالأكثر في الوسائل التي تصفي بها حسابك مع عملائك .. وعلى كل حال فإنني اردت هذه المرة الا اترك لك فرصة للتفكير والتدبير ، وسانهي إليك التفاصيل في الوقت المناسب .. لأرى الطريقة التي سيتفتق عنها ذهنك في التو واللحظة .

فابتسم "باربيه" .. ونظر إليه "جانيمار" من طرف عينه نظرة من يريد أن يقول : ليتني استطيع الاستغناء عن خدماتك ، والتخلص من معونتك !

ولما خرجا من بناء المحطة .. قصد "جانيمار" بصاحبه إلي سيارة فخمة كانت في الانتظار .. وفتح السائق باب السيارة ، فرأى "باربيه" بداخلها سيدة في مقتبل العمر على جانب كبير من الجمال ، تبدو على وجهها النبيل أمارات الحزن والقلق .. ويزيد الشحوب سحنتها جمالا ونبلا ..

قال "جانيمار" يقدم صديقه إلى السيدة :

- اسمحي لي يا سيدتي بان أقدم إليك صديقي المحامي "جان باربيه"

الذي قلت لك عنه إنه الرجل الوحيد الذي يستطيع إنقاذ الموقف .

ثم التفت إلى "باربيه" وقال :

– اقدم إليك مدام "فوجريه" .. زوجة المهندس "فوجريه" .. الذي توشك الظروف السيئة ان توقفه موقف الاتهام في جريمة مفزعة .

– إنها جريمة .. قتل ؟

– جريمة قتل !

– هذا بديع .

فانكمش "جانيمار" لفساد ذوق صاحبه .. وقال محدثا السيدة :

– عفوا يا سيدتي .. أرجو المعذرة عن هذا التعبير السقيم ، فإن صديقي لا يسره شيء كان يجد نفسه امام قضية خطيرة .. وجريمة غامضة ..

وركب الرجلان السيارة بجانب مدام "فوجريه" ، فانطلقت بهم تسابق الريح .. وعرجت مرة إلى اليمين واخرى إلى اليسار ، ووقفت اخيرا امام منزل كبير .. وعندئذ هبط الثلاثة من السيارة واشار "جانيمار" إلى الطابق الثالث من ذلك المنزل .. وقال محدثا "باربيه" :

– إن الطابق الثالث من هذا المنزل هو مقر "النادي النورمندي" وهو المنتدى الذي يختلف إليه كبار التجار واصحاب المصانع في "روين" وضواحيها ، للتحدث في شؤونهم العملية ولقراءة الصحف ولعب الورق .

واعضاء المنتدى يكتمل عددهم في الغالب في يوم الجمعة من كل اسبوع ، وهو اليوم الذي تفتح فيه بورصة "روين" . ولما كان يندر وجود أحد الأعضاء في المنتدى قبل الظهر ، فإننا نستطيع انتهاز الفرصة الآن لشهود المكان الذي وقعت فيه الجريمة .. والتحدث في ظروفها من كثب ..

وصعدوا السلم .. وطرق "جانيمار" باب الطابق الثالث ، ففتحه خادم متقدم في السن .. ما كاد يرى مفتش البوليس حتى افسح له ولزميليه السبيل ..

ومر الثلاثة باربع غرف مؤثثة بافخم الاثاث .. وانتهوا إلى قاعة صغيرة لها باب يؤدي إلى مقصورة تطل على ضفة نهر السين ..

جلس ثلاثتهم في تلك القاعة .. وراح "جانيمار" يوضح الموقف فقال:
- حدث في يوم الجمعة منذ بضعة أسابيع ان اربعة من اعضاء هذا المنتدى جاءوا إلى هنا .. وتناولوا طعام العشاء معا .. ثم شرعوا يلعبون "البوكر" .

كانت تربط بينهم روابط الصداقة .. وجميعهم من أصحاب مصانع النسيج في "ماروم" بضواحي "روين" .. وقد اشتهرت "ماروم" - كما تعلم - بمصانع نسيج الحرير .

كان ثلاثة من هؤلاء الأصدقاء الأربعة متزوجين ولهم أولاد .

واولئك الثلاثة هم : "الفريد اوفار" و"راعول دوبان" و"لويس باتينيه" .

اما الرابع فشاب عزب في مقتبل العمر يدعى "مكسيم تويلييه" .

وحول منتصف الليل .. انضم إلى هؤلاء الأربعة شاب آخر من اغنياء الناحية يدعى "بول ايرستاين" ..

وكان اعضاء المنتدى قد بدءوا ينصرفون الواحد منهم في إثر الآخر.. وجاء وقت لم يبق فيه بالمنتدى غير اصحابنا الخمسة الذين ذكرتهم .

كانوا قد بدءوا يلعبون الورق في هدوء .. ثم حمي وطيس اللعب بعد ان طلب "بول ايرستاين" ثلاث زجاجات من الشراب ..

وهنا اشار "جانيمار" إلى طاولة في وسط القاعة واستطرد :

- كانوا يلعبون الورق حول هذه الطاولة .. ومن العجب أن "بول ايرستاين" ما كاد يقدم لزملائه الشراب حتى بدأ الحظ يحالفه .. كان حظه عجيبا في تلك الليلة .. وكأنه كان على اتفاق مع ورق اللعب .. كانت تقع من نصيبه دائما الورقة التي هو بحاجة إليها لكي يجرف جميع الأوراق المالية التي على المائدة ويضعها امامه ..

ربح .. وربح .. واشتد الحنق بزملائه فجازفوا في اللعب وضاعفوا المبالغ التي كانوا يقامرون عليها .. ولكن بغير جدوى .

وفي حوالي الساعة الرابعة صباحا .. كان أصحابنا الأربعة قد اضاعوا جميع النقود التي سحبوها من البنوك في ذلك اليوم ، ليدفعوا منها أجور العمال في مصانعهم .. وذهبت جميع هذه الأموال إلى جيب "بول ايرستاين" .

واكثر من ذلك ان "مكسيم تويلييه" خسر كل ما معه . وخسر كذلك ثمانين الف فرنك وعد بشرفه ان يدفعها لـ "بول ايرستاين" في اليوم التالي ..

وهنا صمت المفتش "جانيمار" لحظة ثم استطرد :

– وقد كان في وسع "بول ايرستاين" ان يفوز بغنيمته وينطلق بربحه، ويترك أصدقاءه يندبون سوء حظهم .. بيد انه كان شابا رضي الخلق ، ثم إنه كان فضلا عن ذلك على جانب عظيم من الغنى .. فاراد أن يبرهن لأصحابه على انه إنما قامر بقصد التسلية لا بقصد الربح ، فرد أرباحه إلى أصحابها .. واتفق معهم على استئناف اللعب ، فإما أن يستردوا اموالهم نهائيا .. وإما ان تتضاعف خسارتهم .

ومن عجيب المصادفات أن الحظ الذي لازمه طيلة تلك الليلة قلب له ظهر المجن فجاة ، فخسر جميع ارباحه .. وانتهت الليلة بالتعادل ، فلا خاسر بين الأصدقاء ولا رابح .

ولما خسر "بول ايرستاين" جميع أرباحه نهض عن مائدة الميسر وهو يقول :

– يسرني انكم استطعتم استرداد اموالكم .. والواقع انني كنت اشعر بشيء من الخجل حتى كانني سلبتكم نقودكم .. ولكن يا إلهي .. ما هذا الصداع الذي اشعر به .. ألا يريد احدكم أن يدخن لفافة تبغ في المقصورة ؟

وترك أصحابه وانطلق إلى المقصورة .. وبقي الأصدقاء الأربعة حول المائدة لتسوية الحساب فيما بينهم ، وهم مسرورون لاستردادهم اموالهم .. ثم قرروا الرحيل اخيرا ، فنهضوا واجتازوا الغرف الثلاث.. ووجدوا "جوزيف" العجوز خادم المنتدى يغط في نومه في أحد المقاعد .. فقال له احدهم :

– لا تغلق الأبواب يا "جوزيف" ، فإن مسيو "بول ايرستاين" لا يزال في المقصورة .. ولكنه لن يبطئ في الرحيل ..

ثم انصرفوا .. وكان انصرافهم في الساعة الرابعة والدقيقة ٣٥ تماما ، وركبوا سيارة أحدهم – وهو "الفريد أوفار" – فانطلقت بهم إلى "ماروم" .

اما "جوزيف" خادم المنتدى فإنه انتظر نصف الساعة ثم ساعة .. واخيرا استولى عليه السام ، فذهب للبحث عن "بول ايرستاين" في المقصورة .. فوجده على الأرض هناك وهو جثة هامدة .

وصمت "جانيمار" مرة أخرى .. وأطرقت "مدام فوجريه" براسها ..

قال "باربيه" محدثا "جانيمار" :

- هلم بنا نفحص المقصورة ..

وأجال "باربيه" الطرف في أنحاء المقصورة التي تطل على ضفة نهر السين.. ثم سال :

- وممن عرفت كل هذه التفصيلات ؟

- من أقوال الأصدقاء الأربعة الذين لعبوا مع "بول ايرستاين" ..

- الا يحتمل أن يكونوا قد أخطئوا في شيء ؟

- نعم .. فقد اتفقت اقوالهم جميعا ، وهم فضلا عن ذلك من كبار أصحاب المصانع ، ولهم سمعة حسنة .. وجميعهم معروفون بالرزانة، وليسوا ممن يرسلون الكلام على عواهنه .

- حسنا .. والآن قل واوجز .. إلى اية نتيجة انتهى التحقيق ؟

فاجاب "جانيمار" :

- لقد اسفر التحقيق عن ان "بول ايرستاين" أصيب في جمجمته بضربة شديدة من أداة ثقيلة صرعته في الحال وقتلته بدون أن يتمكن من الاستغاثة أو الدفاع عن نفسه .

ولعل أهم اثر عثر عليه المحققون ، هو ساعة القتيل ، فقد تحطمت هذه الساعة عند سقوط القتيل على الأرض ، ووقفت عقاربها على الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والخمسين .. وهذا يدل على أن الجريمة ارتكبت بعد عشرين دقيقة من انصراف الأصدقاء الأربعة .. كذلك لم يقع المحققون على ما يثبت أن الجريمة ارتكبت بقصد السرقة، فقد وجدت مع القتيل حافظة نقوده واوراقه وخاتمه .. ولم يكن هناك شك في أن القاتل جاء من الخارج ، لأن الخادم "جوزيف" لم ير احدا يدخل بعد انصراف الأصدقاء الأربعة .

فسال "باربيه" :

- الم يجد المحققون اي اثر للقاتل ؟

فتردد "جانيمار" لحظة ثم قال :

- بلى .. إنهم وجدوا أخيرا أثرا مهما .. فقد لفت أحد رجال بوليس "روين" نظر قاضي التحقيق إلى قرب المسافة بين هذه المقصورة ومقصورة الطابق الثالث من المنزل المجاور ، فانتقل القاضي هو والمحققون إلى المنزل المجاور .. ودخلوا الطابق الثالث الذي يقيم فيه المهندس "فوجريه" هو وزوجته .

وكان المهندس قد غادر بيته في الصباح ، فذهبت مدام "فوجريه" بالمحققين إلى غرفة زوجها .. وهناك لاحظ المحققون أنه ليس من المتعذر الوثوب من مقصورة غرفة الزوج إلى المقصورة التي ارتكبت فيها الجريمة .

- انظر يا "باربيه" ..

فارسل "باربيه" بصره إلي مقصورة المنزل المجاور .. وقال :

- هذا صحيح .. فالمسافة بين المقصورتين لا تتجاوز مترا وعشرين سنتيمترا ومن السهل جدا اجتيازها ..

فقال "جانيمار" :

- نعم .. والآن .. انظر إلى مقصورة بيت المهندس .. إن بها طائفة من آنية الأزهار ، وقد ذبلت الأزهار في هذه الآنية منذ مدة .. ولكن المحققين لاحظوا أن الطين في أحدها قد نبش حديثا ، فبحثوا فيه .. ووجدوا به قطعة مستديرة من الحديد كالتي يستخدمها الأشقياء الأمريكيون في البطش بخصومهم . وقد قرر الطبيب الشرعي أن الإصابة التي بجمجمة القتيل حدثت بضربة من أداة حديدية ثقيلة .. كتلك القطعة الحديدية التي وجدت مخبأة في إناء الأزهار .

ولم يسفر البحث والفحص عن وجود بصمات أصابع على قطعة الحديد .. ولعل السبب في ذلك أن الأمطار هطلت بغزارة في صباح اليوم التالي لوقوع الجريمة ، فأزال ماء المطر كل أثر لبصمات الأصابع.

وقد اتجهت ريبة المحققين في الحال إلى المهندس "فوجريه" ، وكان من رأيهم أنه رأى "بول ايرستاين" في مقصورة المنتدى وعرفه تحت ضوء المصباح الكهربائي الذي يضيء تلك المقصورة .. فوثب عليه من

مقصورة غرفته ، وفتك به .. ثم عاد إلى مقصورته من جديد ، واخفى قطعة الحديد في إناء الأزهار ..

فسال "باربيه" :

- ولكن لماذا ارتكب المهندس هذه الجريمة ؟ هل كانت له معرفة بـ "بول ايرستاين" ؟

- لا ..

- إذن ؟ ..

فلم يجب "جانيمار" .. بل اشار باصبعه نحو مدام "فوجريه" .. وكانت هذه تصغي بانتباه إلى حديثهما ، فاقتربت منهما وقالت تحدث "باربيه" بصوت مرتجف :

- إن في استطاعتي الإجابة عن سؤالك هذا يا سيدي وساجيب في كلمات قليلة .. وبصراحة تامة .. فتفهم سبب قلقي وانزعاجي ..

إن زوجي لم يكن يعرف "بول ايرستاين" .. اما انا فكنت اعرفه ، وقد قابلته مرارا في باريس عند إحدى صديقاتي فراح يحاول التقرب مني ومغازلتي ، ولكنني احب زوجي واعرف واجباتي كزوجة .. ولهذا لم يجد "بول ايرستاين" من ناحيتي اي تشجيع .. كل ما هنالك انني قبلت صداقته وحرصت على الا تتعدى الصلة بيننا مجرد الصداقة البريئة وقد واعدني مرارا .. وكنا نتقابل في بعض الأحيان في الضواحي ..

- وهل بعثت إليه برسائل ؟

- نعم كتبت إليه اكثر من مرة لأرده إلى سواء السبيل واشعره بانه يجب الا ينتظر مني اكثر من مجرد الصداقة ..

- وهل وقعت رسائلك بين ايدي اسرته ؟

- نعم .. إنها وقعت في يد والده .. ولابد ان الرجل راح ينبش اوراق ولده بعد مصرعه ، باحثا عما يثبت وجود عداوة بينه وبين آخرين .

- وهل هددك والد الشاب - وهو يريد بالتاكيد ان يثار لولده - بان يضع رسائلك بين ايدي المحققين ؟

- نعم .. وليس يهمني ان تذاع حقيقة العلاقة بيني وبين الشاب القتيل ، فجميع رسائلي إليه تدل على انها كانت علاقة بريئة لا تشوبها اية شائبة .. بيد ان زوجي لا يعرف بوجود هذه العلاقة ، ولا

يعرف انني كنت اقابل "بول ايرستاين" .. ولست اريده الآن أن يعرف شيئا من ذلك .. أضف إلى هذا أن بعض رسائلي إلى القتيل تتضمن عبارات قد تتخذ دليلا ضد زوجي .. من ذلك انني قلت له في إحدى رسائلي : "اتوسل إليك ان تكون حكيما يا "بول" ، لأن زوجي شديد الغيرة وشديد العنف .. وإذا علم بوجود صلة بيننا من اي نوع فإنه لا يحجم عن اي عمل" . فهذه العبارات وامثالها قد يتخذها المحقق سلاحا ضد زوجي وهي في الحق سلاح مخيف .. لأن المحقق سوف يعتقد أن الغيرة هي الدافع إلى الجريمة .. ومتى اضفنا إلى ذلك دليل وجود قطعة الحديد في مقصورة زوجي أصبح من المتعذر بل أصبح من المستحيل دفع التهمة عن زوجي المسكين .

فسألها "باربيه" :

- ولكن انت يا سيدتي .. هل انت واثقة بان زوجك لم يداخله شك في وجود صلة بينك وبين القتيل ؟

- إنني واثقة بذلك تمام الوثوق .

- وهل تعتقدين انه بريء ؟

فاجابت بحدة :

- إنني لا اشك في براءته .

وهنا تفرس "باربيه" في عينيها الساحرتين الحزينتين ، وشعر في الحال بمثل ما شعر به "جانيمار" من قبل .. وهو ان تلك المراة الحسناء لم تذكر غير الحقيقة . وانها - رغم الظروف والأدلة وراي المحققين - تعتقد اعتقادا راسخا في براءة زوجها .

وقد القى "باربيه" على "جانيمار" ومدام "فوجريه" طائفة من الأسئلة . وفكر طويلا .. ثم قال أخيرا :

- ليس في استطاعتي يا سيدتي أن اجعلك تعللين النفس بالآمال .. فمركز زوجك في القضية سيئ جدا .. وجميع الأدلة ضده .. ومع ذلك فساحاول تخطئة الأدلة .

فقالت مدام فوجريه متوسلة :

- انني أرجوك يا سيدي أن تقابل زوجي .. ومتى سمعت أقواله .. فإنك لن تشك لحظة في براءته .

- فاجاب "باربيه" :

- لا فائدة من ذلك يا سيدتي .. إن عملي سيقوم على أساس أعتقادك في براءة زوجك .. نعم سافترض عدم وجود زوجك .. واقوم بتحقيق القضية على هذا الاعتبار .

وهكذا انتهت المقابلة .. وبدأ "باربيه" عمله في الحال . ذهب برفقة "جانيمار" إلى والد الشاب القتيل ، وقال له في صراحة ... وبغير لف او دوران :

- يا مسيو "ايرستاين" .. لقد كلفتني مدام "فوجريه" بالدفاع عنها وعن زوجها .. فهل لا يزال في نيتك ان تضع بين ايدي المحققين رسائل هذه السيدة إلى ولدك ؟

فاجاب الرجل :

- ساقدمها إلى المحققين اليوم بالذات .

- إنك إذا فعلت قضيت على سمعة المراة التي احبها ولدك كما لم يحب امراة سواها ..

- ذلك من دواعي أسفي .. ولكن زوج هذه المراة قد قتل ولدي .. ويجب ان اثار للقتيل .

- إنني أرجوك التريث خمسة ايام فقط يا سيدي .. واعدك بان أميط اللثام عن القاتل في يوم الثلاثاء المقبل ..

وقد قضى "باربيه" هذه الأيام الخمسة في أعمال أوقعت الياس في قلب "جانيمار" .. وقام بتحقيق كان من راي هذا الاخير انه لا فائدة منه.. وانفق خلال ذلك كثيرا من النقود .

وفي صباح يوم الثلاثاء .. قابل "باربيه" مدام "فوجريه" ، وقال لها :

- لقد اتفق "جانيمار" مع المحققين على إعادة تصوير الجريمة وتمثيلها في ذات المكان الذي وقعت فيه . وسوف يدعوك المحققون انت وزوجك لحضور التمثيل في المنتدى فارجوك ان تلزمي جانب الهدوء التام وان يكون موقفك موقف شخص يشهد رواية تمثل على المسرح ، وليست له اية صلة بواحد من ابطالها .

فغمغمت :

- هل هناك أمل ؟

فاجاب :

- لا اعلم .. لقد قلت لك إنني ساعمل على أساس اعتقادك الشخصي في براءة زوجك .. وساحاول إثبات هذه البراءة بإبراز نظرية جديدة .. ربما وإن كنت اعتقد انني وضعت اصبعي على الحقيقة .. إلا انني اخشى ان يظهر في آخر لحظة ما يهدم اعتقادي .. ويقلب نظريتي راسا على عقب .

وكان قاضي التحقيق ووكيل النيابة اللذان قاما بتحقيق القضية معروفين بالحكمة والرزانة وبانهما لا يتاثران بالمظاهر الجوفاء . فقال "جانيمار" محدثا "باربيه" :

- يجب ان احذرك سلفا بانهما ممن لا يجوز عليهم التهويش والدجل .. وقد عاملانا بمنتهى الكرم وافسحا لنا السبيل ، وتركا لنا حرية العمل .. فحذار ان تحاول الهُزْءَ بهما او السخرية منهما .

فقال "باربيه" :

- يا عزيزي المفتش "جانيمار" .. إنني لا اسخر من المحققين إلا عندما اكون على يقين من الفوز .. وانا اليوم لست على يقين من شيء .

امتلات غرف "المنتدى النورمندي" بالمحققين ورجال البوليس .. وابطال الماساة ..

وكان قاضي ألتحقيق قد طلب إلى الأصدقاء الأربعة الذين قامروا مع "بول ايرستاين" ليلة مصرعه ان يحضروا إلى المنتدى لإعادة تمثيل الماساة .. فراى "باربيه" هؤلاء الاربعة وهم يروحون ويجيئون في غرف المنتدى بقلق . وراى والد القتيل واقفا وقفة المتفرج .. وهو ينظر إلى المهندس "فوجريه" بين الفينة والفينة نظرات تدل على غيظه وحنقه .

اما مدام "فوجريه" فإنها جلست في احد الأركان ولزمت جانب السكون والهدوء كما امرها بذلك "باربيه" .

قال قاضي التحقيق محدثا الأصدقاء الأربعة :

- لقد رأينا ايها السادة أن من مصلحة التحقيق إعادة تمثيل الجريمة في مكان وقوعها . ولهذا ارجو ان تجلسوا حول مائدة اللعب كما كنتم تجلسون في ليلة الجمعة . وسيجلس المفتش "جانيمار" في ذات المكان الذي كان يجلس فيه "بول ايرستاين" .. هل طلبت إلى هؤلاء

السادة يا مسيو "جانيمار" ان ياتوا معهم باوراق مالية بالعدد الذي كان معهم ليلة الجريمة ؟ .

فاطرق "جانيمار" براسه علامة الإيجاب . ثم جلس على احد المقاعد . وجلس "الفريد اوفار" و"راءول دوبان" عن يساره ولويس باتينيه" و"مكسيم تويلييه" عن يمينه ..

وجاءهم "جوزيف" باوراق اللعب ..

وبدا اللعب .

ولم تمض بضع دقائق حتى لاحظ المحققون ظاهرة عجيبة .. راوا ان الحظ يحالف "جانيمار" كما حالف "بول ايرستاين" في ليلة الماساة ، فاخذ "جانيمار" يربح ويربح . والحظ يواتيه بكل ورقة يحتاج إليها لتكديس اموال الآخرين امامه ..

حالفه الحظ بعناد وإصرار عجيبين وجاء التمثيل صورة تماثل الحقيقة تماما.. حتى خيل للاعبين الأربعة ان ليلة الماساة قد عادت بسحر ساحر عظيم ..

وقد بلغ من انزعاج "مكسيم تويلييه" لهذه الظاهرة العجبية انه اضطرب وراح يخطئ في اللعب .. فطلب إليه المحامي "باربيه" ان ينهض .. وجلس هو مكانه .

واستمر اللعب .. واستمر "جانيمار" يكدس الأوراق امامه .. فلما انقضت عشر دقائق .. كان "جانيمار" قد كدس امامه جميع الأوراق المالية .

وحدث لـ "باربيه" - الذي كان يقوم بدور "مكسيم تويلييه" - ما حدث لهذا الأخير في ليلة الماساة . إذ خسر كذلك ثمانين الف فرنك .. اصبحت دينا عليه لـ "جانيمار" الذي كان يقوم بدور "بول ايرستاين" ..

ولما كدس "جانيمار" اموال اللاعبين امامه .. فعل ما فعله "بول ايرستاين" من قبل . فقسم ارباحه إلى اربعة اقسام . قدم إلى كل لاعب قسما منها . وبدات الحلقة الثانية من اللعب .. فإما ان يسترد اللاعبون الأربعة اموالهم .. وإما ان تتضاعف خسارتهم .

وبدا اللعب من جديد .. كما حدث تماما في ليلة الماساة ولكن بدلا من ان يخسر "جانيمار" ارباحه .. كما خسر "بول ايرستاين" في ليلة

الجريمة .. أخذ هو يربح من جديد .

استولت الدهشة على المحققين .. إذ وجدوا أنفسهم في حالة جديدة غير تلك التي كانت في ليلة المأساة .

فقد حدث في ليلة المأساة أن خسر "بول ايرستاين" أرباحه .. أما الآن.. فإن "جانيمار" ، الذي يقوم حول مائدة اللعب بدور "بول ايرستاين" قد استمر يربح .

ترى .. هل دبر "جانيمار" و"باربيه" هذا الاختلاف لإظهار ما وقع في ليلة المأساة على حقيقته ؟

وأخيرا نهض "جانيمار" بعد أن ربح للمرة الثانية أموال اللاعبين الأربعة ..

نهض واقفا .. ووضع رزم الأوراق المالية في جيبه .. وفعل ما فعله "بول ايرستاين" من قبل .. إذ شكا من صداع شديد .. وقصد إلى المقصورة وهو يشعل لفافة تبغ .

وبقي اللاعبون الأربعة حول مائدة اللعب . وقد ارتسمت على وجوههم علامات الحيرة والقلق ..

وأخيرا نهض المحامي "باربيه" .. الذي كان يقوم حول مائدة اللعب بدور "مكسيم تويلييه" .

نهض واقفا ..ودهش القوم أشد الدهشة حين رأوا سحنته تنقلب انقلاب سحنة "مكسيم تويلييه" .

كان هذا الأخير شابا عليلا محني الظهر قليلا .. يضع على عينيه نظارة ذات إطار من ذهب ..

أصبح المحامي "باربيه" بأسرع من لمح البصر صورة حية لـ "مكسيم تويلييه". فرآه القوم شابا عليلا محني الظهر .. على عينيه نظارة ذات إطار من ذهب..

نهض "باربيه" وهو منقلب السحنة ، وقصد إلى المقصورة في إثر غريمه الرابح .

كانت على وجهه علامات القسوة .. حتى ليخيل إلى الناظر إليه أنه لا يحجم عن أي عمل من أعمال البطش .

لم ير اللاعبون الآخرون وجهه .. بل رآه المحققون .. فنسوا أنهم

امام ممثل بارع يمثل دور "مكسيم تويلييه" . وجرت خواطرهم إلى "مكسيم تويلييه" الحقيقي في ليلة المأساة .. "مكسيم تويلييه" الذي خسر كل ما معه ، واكثر مما معه .. تصوروه في ليلة المأساة وهو يخرج إلى المقصورة في إثر "بول ايرستاين" الذي تكدست الأوراق المالية في جيوبه .

ترى لماذا خرج في إثره ؟

كانت سحنته المنقلبة لا تدل على شيء مما يعتمل في نفسه .

ترى هل خرج في إثره ليرجوه ويتوسل إليه .. او خرج في إثره ليامره ويهدده ؟

حبس القوم انفاسهم في انتظار النتيجة .

راوا "مكسيم تويلييه" يخرج من المقصورة ويغلق الباب وراءه ويغيب عن ابصارهم .

ثم راوا اللاعبين الثلاثة الذين ظلوا حول المائدة ينظرون في قلق إلى الباب الذي وقع خلفه ما وقع ليلة الجريمة .

وبعد دقائق عاد "مكسيم تويلييه" من المقصورة فإذا هو شديد الاضطراب شديد الشحوب .

قصد إلى اصدقائه الثلاثة وبين يديه اربع حزم من الاوراق المالية فاحتفظ لنفسه بإحدى الحزم .. والقى إلى كل منهم بحزمة . وقال لهم:

– لقد طلب إلي "بول ايرستاين" ان أرد إليكم اموالكم . لانه لم يكن يقصد الربح . بل كان يقصد التسلية وقضاء الوقت فحسب .. والآن هلموا بنا .

ومن ثم استرد "جان باربيه" شخصيته الحقيقية فاعتدلت قامته .. ورفع النظارة الذهبية .. ونظر إلى "مكسيم تويلييه" الحقيقي ..

كان هذا الأخير شاحب الوجه منقلب السحنة .. وقد استند إلى احد المقاعد كانما ليمنع نفسه من السقوط .

قال "باربيه" موجها كلامه إليه :

– هكذا وقعت المأساة .. اليس كذلك يا مسيو "مكسيم تويلييه" ؟ الم اقم خير قيام بالدور الذي قمت انت به ليلة الجريمة ؟ ليلة ان ارتكبت جريمتك ؟ .

فاطرق "مكسيم تويلييه" براسه .

كان مضعضع الحواس .. شارد اللب وفي حالة يخيل معها للناظر إليه أن لفحة من النسيم تكفي لإلقائه على الأرض . ترنح كالثمل .. وانهار على احد المقاعد .

وهنا وثب عليه "باربيه" وهتف بصوت كصوت الرعد :

– اعترف إذن ايها الشقي .. لا سبيل إلى الإنكار .. فهكذا وقعت الجريمة .

وبعد .. فعندي جميع الأدلة والبراهين .. إنك صاحب القبضة الحديدية التي ارتكبت بها الجريمة .. وعندي الدليل على انك كنت تحملها دائما معك لتدافع بها عن نفسك وقت الضرورة وقد دلني التحقيق الذي قمت به على أن مركزك المالي ليس على ما يرام .. وعلى أن المبلغ الجسيم الذي خسرته في المقامرة كان سيلقي بك حتما في هاوية الإفلاس .. ولهذا فإنك قتلت "بول ايرستاين" لتسترد اموالك .. ولما حرت في امر الأداة التي ارتكبت بها جريمتك .. وثبت إلى المقصورة .. وخبأتها هناك في إحدى أواني الأزهار .

لم يكن "باربيه" بحاجة إلى المزيد من الإيضاح ، فإن "مكسيم تويلييه" لم يبد اي مقاومة .

كانت جريمته تثقل كاهله وتقلق باله منذ ارتكبها فاعترف علي الفور بصوت مضطرب ولسان متلعثم .

وساد الهرج والمرج جوانب المكان .. وبينما كان قاضي التحقيق يسجل اعترافات المتهم .. أخذ والد القتيل والمهندس "فوجريه" يسبان "مكسيم تويلييه" ويصبان عليه جام غضبهما .

وكان اشد الجميع حنقا زملاء المتهم الثلاثة .. فصاح به احدهم وهو "ألفريد اوفار" :

– يا لك من شقي ! اتقتل ذلك التعس وتسرقه ثم توهمنا بانه رد إلينا اموالنا؟

وقذفه بحزمة الأوراق المالية .. وحذا زميلاه حذوه ، إذ هالهم جميعا أن يحتفظوا باموال ملوثة بالدماء .

وعادت السكينة شيئا فشيئا بعد أن نقل "مكسيم تويلييه" إلى غرفة

اخرى وهو في حالة يرثى لها .

جمع "جان باربيه" حزم الأوراق المالية التي قذف بها المقامرون الثلاثة زميلهم وقدمها إلى قاضي التحقيق .

واعتذر قاضي التحقيق للمهندس "فوجريه" وزوجته وطلب إليهما وإلى والد القتيل الانسحاب .. ثم اقبل على المحامي "باربيه" يهنئة على براعته وبعد نظره . فقال المحامي :

– إن الجريمة في الواقع عادية لا تستحق شيئا من الاهتمام .. بيد انها اكتسبت غموضها واهميتها من عوامل اخرى لا شان لي بها .. ولكني أستطيع معالجتها إذا سمحتم لي بذلك .

ثم تحول إلى المقامرين الثلاثة .. وكانوا يتحدثون فيما بينهم بصوت خافت . والقى بيده على كتف مسيو "الفريد اوفار" وقال له :

– اريد ان اتحدث إليك يا مسيو "اوفار" .

فنظر الرجل إليه متسائلا .. وقال :

– عم تريد ان تتحدث إلي ؟ .

– عن الدور الذي لعبته أنت وزميلاك في المأساة .

– إننا لم نلعب اي دور .

– بالتاكيد انتم لم تلعبوا دورا إيجابيا .. بيد ان هناك بعض ملاحظات احب ان اصارحكم بها .إنكم قررتم في التحقيق الابتدائي انكم ربحتم في المرحلة الثانية من اللعب . ولما استرددتم اموالكم انصرفتم مرتاحي البال ، وقد ثبت الآن أن الحقيقة كانت غير ذلك وانكم منيتم بالخسارة على طول الخط .

فهز مسيو "اوفار" راسه وقال :

– الواقع ان هناك سوء تفاهم ، فنحن في الواقع لم نربح في المرحلة الثانية من اللعب وقد نهض "بول ايرستاين " بعد ان ربح اموالنا للمرة الثانية ، وقصد إلى المقصورة فتبعه "مكسيم" ليدخن معه لفافة تبغ وبقيت انا وزميلاي حول المائدة .

وبعد سبع دقائق تقريبا . عاد "مكسيم" وقال لنا إن "بول ايرستاين" لم يكن ينظر إلى هذه المقامرة بعين الجد لأن ادمغتنا كانت تسبح في بحار الشراب .. وإنه لذلك يرد إلينا اموالنا بشرط الا نذكر ما حدث

لأحد .

- هل افهم من هذا انكم قبلتم منه هذه الهبة التي لا مبرر لها وقبلتموها بدون ان تشكروا صاحبها ؟ وهل كان من الطبيعي في نظركم أن يرد إليكم "بول ايرستاين" ارباحه ، وهو ذلك المغامر العتيد الذي ألف الخسارة كما ألف الربح ؟

- الواقع ان الساعة كانت وقتئذ الرابعة صباحا . وكنا مضعضعي الحواس من تاثير الشراب والانفعال فصدقنا "مكسيم تويلييه" ولم يترك لنا "مكسيم" فرصة للتفكير ، اضف إلى ذلك انه لم يكن هناك ما يمنعنا من تصديق "مكسيم" . ولم يتطرق إلينا اي شك في انه قتل وسرق .

فقال "باربيه" :

- بيد انكم علمتم في اليوم التالي أن "بول ايرستاين" وجد مقتولا في المقصورة .

- هذا صحيح .. ولكننا كنا واثقين بانه قتل بعد انصرافنا .

- الم يداخلك اي شك في "مكسيم تويلييه" ؟

- نعم لم يداخلني اي شك .. فقد كان ابوه من اصدقائي وانا اعرفه منذ صغره .. لا .. لا .. انا لم ارتب في امره .

فساله "باربيه" :

- هل انت واثق بذلك ؟

ثم استانف هجومه فقال بصوت حاد :

- هناك عامل نفساني واحد ضلل المحقق وابعده عن الحقيقة منذ البداية .. ذلك العامل هو مراكزكم في الهيئة الاجتماعية والثقة التي هي من حقكم بحكم مراكزكم والاحترام الذي تستمتعون به ..

لقد كان ارتكاب الجريمة ماديا ممكنا من ناحيتين : من داخل المنتدى ومن خارجه .. بيد ان الشبهة انصرفت في الحال إلى الخارج .. لسبب نفساني جوهري هو ان الشك يجب الا يحوم باي حال حول اربعة اشخاص بارزين ، معروفين بالثروة والغنى ولهم مراكزهم في الهيئة الاجتماعية . ولهم سمعتهم الطيبة .

ولو ان احدكم فقط هو الذي كان يلعب الورق مع "بول ايرستاين" او

بمعنى آخر لو كان "مكسيم تويلييه" هو وحده الذي لعب الورق مع "بول ايرستاين" .. إذن لما تردد المحقق في الارتياب فيه .. بيد انكم كنتم اربعة ، وقد استطاع "مكسيم تويلييه" ان ينجو من الاشتباه بفضل صمت زملائه الثلاثة .. فلم يخطر على بال المحقق ان ثلاثة رجال في مثل مراكزكم . يجوز ان يتستروا على المجرم.. او ان يشتركوا معه ، في حين ان ذلك بعينه هو ما وقع .. على انني ادركت هذه الحقيقة منذ البداية ..

فصاح "الفريد اوفار" :

– لا شك انك مجنون يا هذا . اتعتقد اننا شركاء في الجريمة ؟

– لا .. انا لا اعتقد ذلك . فمن المؤكد انكم كنتم تجهلون غرض "مكسيم تويلييه" حين تبع "بول ايرستاين" إلى المقصورة ، بيد انه كان في استطاعتكم ان تفهموا حالته النفسية وقتذاك . كما كان في استطاعتكم حين عاد إليكم بالأوراق المالية ان تقرءوا في سحنته ما حدث في المقصورة .

– ولكننا لم نلاحظ عليه شيئا ؟

– هذا مستحيل . إن نذلا جبانا مثل صديقكم "مكسيم" لا يمكن إلا ان تظهر على وجهه علامات الذعر والجزع بعد الجريمة .

– أؤكد لك اننا لم نلاحظ على وجهه شيئا .

– إنكم أردتم الا تلاحظوا شيئا ..

– لماذا ؟

– لأنه رد إليكم الأموال التي خسرتموها . نعم . انا اعلم انكم اغنياء وأغنياء جدا ، غير أن الخسارة أزعجتكم وضايقتكم . وقد شعرتم وقتذاك بمثل ما يشعر به كل لاعب يخسر مبلغا طائلا في وقت قصير . اعني انكم شعرتم بانكم سرقتم فلما ردت إليكم اموالكم قبلتموها في الحال بدون أن تسالوا صديقكم عن الطريقة التي استردها بها . قبلتموها ولزمتم الصمت .

ولما اكتشفت الجريمة . شعر كل منكم في قرارة نفسه بالحقيقة المخيفة .. ولكنكم ذهبتم تتجنبون بعضكم خوفا من ان يجد كل منكم عند زميله ما يؤيد خواطره ومشاعره .

- هذه مجرد فروض ..

- بل إنها حقائق يستطيع أن يدركها كل من له إلمام بسيط بمبادئ علم النفس . لقد لزمتم الصمت وتجنبتم اتهام زميلكم لكيلا تفضحوا ضعفكم النفساني ولكيلا تثيروا حول انفسكم الشكوك والريب . وبالصمت استطعتم ان تضللوا العدالة وأن تحموا صديقكم .

كان الاتهام قويا صريحا .. فوقف مسيو "اوفار" مبهوتا مترددا .. ثم شعر فجاة بفظاعة الموقف فاحمر وجهه وهم بان يجيب بحدة وحنق .

وعند ئذ عدل "جان باربيه" عن خطته فجاة وقال :

- اطمئن يا سيدي .. لقد استطعت بمجرد التفكير والخديعة ان اضع القاتل بين يدي العدالة . والواقع انني لم اكن املك اي دليل ضده .. ولست أملك الآن اي دليل ضدكم .. وقد خطر لي اني ربما استطعت الإيقاع بكم . كما اوقعت به .. ولكن الظاهر انكم ابرياء .. وعليه .. ففي وسعكم أن تطمئنوا. ثم اقترب من محدثه واستطرد بصوت هادئ:

- إنكم كنتم شركاء في الجريمة بدون ان تشعروا .. فقد كان في استطاعتكم ان تدركوا غرض "مكسيم" من مطاردة "بول ايرستاين" إلى المقصورة . وكان في استطاعتكم ان تمنعوه من الانطلاق في إثر غريمه .. ولو انكم فعلتم لبقي "بول ايرستاين" حيا .

قال ذلك وتناول قبعته .. وأحنى قامته لقاضي التحقيق باحترام وقال :

- إنني وعدت مدام "فوجريه" بإنقاذ زوجها ووعدت مسيو "ايرستاين" بإماطة اللثام عن قاتل ولده .. وهذا ما فعلته ، وبذلك انتهت مهمتي .

وشد على أيدي المحققين وانصرف .

ولكنه لم يكد يتوسط السلم حتى لحق به "جانيمار" فقال له :

- الواقع انه لا يوجد دليل يستحق الذكر ضد أولئك الثلاثة .. ثم إن مراكزهم في الهيئة الاجتماعية تضعهم فوق الشبهات .. ففي إمكانك إذن أن تطمئن إلى ان استنتاجاتي وما فيها من غمز هي الدليل الأوحد ضدهم وفي اعتقادي ان العدالة لا تستطيع شيئا حيالهم . ومهما يكن من أمر فإنني عالجت القضية ببراعة .

فقال "جانيمار" :

- وبشرف .

نظر إليه "جانيمار" بارتياب وقال :

- الواقع انه كان من السهل عليك في اية لحظة أن تحتفظ لنفسك بالأوراق المالية .

فقال "باربيه" باشمئزاز :

- من تظنني يا مسيو "جانيمار" ؟

وتركه ومضى وهو غاضب وعرج على البيت المجاور حيث يقيم المهندس "فوجريه" هو وزوجته ، فشكره الزوجان .. وعرضا عليه مبلغا من المال مقابل الجهود التي بذلها في سبيلهما . ولكنه هز كتفيه باشمئزاز . وقال :

- إنني لا اعمل من اجل المال . ولكن كل غرضي هو إحقاق الحق .

وقصد "باربيه" بعد ذلك إلى الفندق الذي نزل فيه . وامر الخدم بإعداد حقيبته ليعود إلى باريس .

وبينما اخذ يهم بالانصراف من الفندق . إذا بـ "جانيمار" يقبل عليه مسرعا . وهو محتقن الوجه .

صاح به في غضب وهو يلهث :

- أهذا انت ؟ انت ؟

فنظر إليه "باربيه" في دهشة . واجاب في هدوء :

- بالتاكيد انا ..

- ماذا فعلت بالأوراق المالية ؟

فساله "باربيه" في بساطة :

- عن اية اوراق مالية تتكلم ؟

- الأوراق المالية التي كانت بين يديك وانت تقوم بدور "مكسيم تويلييه" في المقصورة ؟

- ماذا فعلت بها ؟ إنني اعطيتها لقاضي التحقيق . ولا شك انك رايتني وانا افعل ذلك .. بل إنك هنأتني منذ لحظة يسيرة على انني عالجت القضية ببراعة.. و .. شرف ..

فصاح "جانيمار" :

- إنني هناتك لانني لم أكن أعلم بما علمت به الآن .

- وماذا علمت ؟ .

- علمت أن الأوراق المالية التي وضعتها بين يدي المحقق كلها زائفة.
واشتد بـ "جانيمار" الحنق فاستطرد على الأثر : إنك محتال خبيث .
اتعتقد أن المسألة تنتهي عند هذا الحد ؟ كلا يجب أن ترد الأوراق الحقيقية الآن .. وتردها فورا .

فاغرق "باربيه" في الضحك . حتى سالت الدموع من عينيه .

وراح يهتف وهو يقهقه :

- ويل للأشقياء .. لقد كنت على حق إذن في الارتياب فيهم .. إذن فتلك الأوراق المالية التي قذفوا بها راس "مكسيم" كانت كلها زائفة .. يا لهم من أوغاد .

- ٢ -

الرجل ذو الاسنان الذهبية

سمع "جان باربيه" طرقا على باب مكتبه ، ففتح الباب . وما كاد يرى الطارق حتى اغرق في الضحك .

هتف وهو يقهقه :

- هذا اعجب ما سمعت .. "جانيمار" ياتي لزيارتي ! ها .. ها .. ها..

فانقلبت سحنة "جانيمار" وساله بلهجة تنم عن استيائه :

- واي عجب في هذا ؟ وراح يصعد "باربيه" بعينيه ويردد : واي عجب في هذا ؟ ..

- وهل هناك ما هو اعجب من هذه الزيارة ؟ كيف وجدت الشجاعة بعد حادث "روين" على ان تزورني ؟

كان "باربيه" واثقا بان "جانيمار" لم يات لزيارته إلا لأنه بحاجة إليه ، وقد اثر فيه ما راى على وجه مفتش الشرطة من دلائل الخضوع . وشعر بان الرجل يبذل قصارى جهده ليكتم غيظه وحنقه .

قال "باربيه" :

- عفوا أيها الصديق العزيز.. إنما يضحكني أن أراك في مكتبي بعد ان عبرت لي في "روين" عن ريبتك في امانتي .. وفي وسائلي العملية . يضحكني بعد هذا ان تاتي إلى مكتبي بنفسك .. وان تقدم إلي زبونا جديدا.. نعم .. انا واثق بانك جئت لتقدم إلي زبونا جديدا وربما كان هذا الزبون الجديد من اصحاب الملايين .. أو من الوزراء . هو على كل حال عصفور يمكن نتف ريشه .

إنني اكبر فيك روح التعاون يا "جانيمار" .. والواقع من هو المحامي ؟ ومن هو مفتش الشرطة ؟ إنهما رجلان يعملان لغرض واحد . هو إحقاق الحق ، ومعاونة العدالة .

والآن يا صديقي ، مالي أراك متجهم الوجه بادي الحزن ؟ اجلس ، ورفه عنك ، واسرد علي قصتك . هل هناك من هو بحاجة إلى معونتي ؟

فتهالك "جانيمار" على احد المقاعد وقال وهو يتنهد :

- نعم ، هناك قس محترم يقيم في ضواحي باريس ، وهو .. فقاطعه "باربيه" .

-وماذا فعل هذا القس المحترم ؟ هل قتل احد المترددين على كنيسته؟

- لا .. الأمر على النقيض .

- الأمر على النقيض ؟ إذن فقد قتله احد رواد الكنيسة .. وفي هذه الحالة .. كيف أستطيع أن أساعده ما دام قد قتل ؟

- كلا .. كلا .. صبرا .. دعني ..

- أراك اليوم ثقيل اللسان يا "جانيمار" . فهون عليك . لا تتكلم واذهب بي في الحال إلى هذا القس المحترم .. فانا على استعداد .

تقع قرية "فانيل" وسط واد مترامي الأطراف يكسوه العشب الأخضر والمزروعات اليانعة ولهذه القرية كنيسة عتيقة شيدت على الطراز الروماني تطل على مقبرة صغيرة حسنة التنسيق .

وقد ذهب "جانيمار" بالمحامي "جان باربيه" إلى بيت الاب "ديسول" في كنيسة "فانيل" وقدمه بصفته محاميا فذا له مهارة رجال الشرطة في كشف الحقائق .

ورأى "باربيه" أمامه رجلا متوسط العمر .. مترهل الجسم تنم تقاطيع وجهه عن الهدوء والطمانينة وطيب القلب .

ولم يفت "باربيه" أن يلاحظ من حركات القس انه كان في ذلك اليوم بادي القلق والاضطراب .

قال له :

- يا سيدي القس إنني لا اعرف شيئا عن الحادث الذي يهمك ويزعجك ولم يذكر لي صديقي "جانيمار" من امرك إلا انه يعرفك من عدة سنوات فهل تستطيع ان توضح لي قضيتك بإيجاز ؟

والظاهر ان القس "ديسول" كان قد وضع قصته في صيغة مقتضبة معقولة وحفظها عن ظهر قلب . لأنه لم يكد يسمع قول "باربيه" حتى راح يسرد عليه قصته بصوت متزن كانه يقرا في كتاب مفتوح .

قال :

- يجب ان تعلم اولا يا مسيو "باربيه" ، ان قساوسة كنيسة "فانيل" هم في ذات الوقت الحراس الأمناء على الكنز الاثري الثمين الذي أهدته

إلى هذه الكنيسة أسرة "فانيل" التي كانت تملك هذه الناحية حتى نهاية القرن الثامن عشر وهذا الكنز يتمثل في صليبين وشمعدانين من الذهب ، وبعض انية ثمينة ، ومجموع القطع التي يتالف منها هذا الكنز هو - او بالحري كان - تسع قطع .

ولست بحاجة لأن أسهب في تبيان اهمية هذا الكنز من الناحيتين الفنية والأثرية . وهنا صمت القس لحظة ، وراح يجفف العرق المتصبب على جبينه ثم استطرد :

- وإني أعترف لك يا مسيو "باربيه" بان خوفي على هذا الكنز كان يعادل حرصي عليه ، وكنت اشعر دائما بان مهمتي في حراسته هي مهمة محفوفة باشد الأخطار ، وقد بلغ من شدة حرصي وخوفي انني اصبحت لا ابرح الكنيسة ولا ابتعد عن مخبا هذه التحف الأثرية الثمينة ، إلا لأرقب هذا المخبا من منزلي. أعني من نافذة هذه الغرفة .

انظر يا مسيو "باربيه" ، إنك تستطيع من هنا ان ترى الغرفة التي تحفظ بها التحف الثمينة ، وهي غرفة خاصة ذات باب واحد من خشب السنديان المتين ، ولهذا الباب مفتاح كبير لا تمسه يد إنسان سواي . فانا وحدي الذي أحتفظ بمفتاح باب الغرفة ، وبمفتاح الخزانة الخاصة بالكنز . ويجب ان اقول لك إن الكثيرين من الزائرين يفدون خصيصا إلى هذه القرية لزيارة كنيستها ورؤية تحفها الثمينة. فإذا طلب أحد هؤلاء الزائرين ان يلقي نظرة على هذه التحف ، فإنني أرافقه بنفسي .

وزيادة في الحيطة والحذر وضعت جرسا في غرفة نومي ، بحيث يدق من تلقاء نفسه إذا حاول أحد اقتحام غرفة الكنز . وأكثر من هذا وذاك انني عمدت إلى اثمن الآنية الأثرية فصرت انقلها إلى غرفة نومي في كل مساء ، لكي تكون بمقربة مني في اثناء الليل ، وفي الصباح كنت اردها إلى مكانها في الخزانة ولكن حدث ليلة أمس ..

وهنا صمت القس مرة أخرى ، وراح يجفف عن جبينه حبات العرق التي كانت تزداد عددا وحجما كلما أمعن في قصته .ثم استطرد :

- حدث ليلة أمس ، حوالي الساعة الواحدة ، انني استيقظت من نومي مذعورا ، لا لأنني سمعت رنين الجرس ، ولكن لأنني سمعت

صوت سقوط شيء على ارض الغرفة ، فجرى ذهني في الحال إلى التحف الأثرية التي تعودت نقلها من الخزانة إلى غرفتي كل مساء .
وسالت نفسي : ترى هل سرقت؟ .
صرخت بصوت مرتفع : من هذا ؟ ؟
ذلك لانني شعرت بوجود إنسان في الغرفة ، بل كنت واثقا بذلك وواثقا ايضا من ان بعضهم فتح نافذة غرفتي لانني شعرت بتيار من الهواء البارد يلفح وجهي .
صرخت مرة ثانية : من هذا ؟ ؟
ولكن لم اسمع جوابا . فمددت يدي إلى المصباح الكهربائي واضاته.
وامتلأت الغرفة بالنور لحظة يسيرة كان فيها الكفاية لأن أرى امامي رجلا يخفي وجهه بين قبعته العريضة وياقة معطفه ، ولم ار من وجه هذا الرجل غير فمه . وتبينت في الجانب الأيسر منه سنتين من ذهب .
لم يستمر الضوء اكثر من ثانية او ثانيتين لان الرجل ما لبث ان ضرب ساعدي بقوة ضربة جعلت المصباح الكهربائي يفلت من يدي ويسقط على الأرض ويتحطم .
القيت بنفسي على الرجل . ولكن الظلام كان شديدا . فلم أهتد إليه وتعثرت قدماي في احد المقاعد فسقطت على الأرض . ولما نهضت اخذت ابحث عن علبة الثقاب حتى وجدتها فاضات عود ثقاب واجلت البصر حولي في جوانب الغرفة ولكني لم ار احدا .
أسرعت إلى النافذة .. ونظرت منها فوقع بصري تحتها على سلم مسند إلى الجدار .
بحثت عن القطع الثمينة في غرفتي فلم اجدها فارتديت ثيابي على عجل . وأسرعت إلى الكنيسة وفتحت باب الغرفة ، وباب الخزانة التي توجد بها بقية النفائس ولكني لم اقع لها على اثر .
وكف القس عن الكلام للمرة الثالثة وراح يجفف العرق المتصبب على وجهه وجبهته .
قال "باربيه" :
- لا شك انك وجدت حبل جرس الإنذار مقطوعا .. اليس كذلك ؟ وهذا معناه بالتاكيد أن السارق هو احد الذين يعرفون كنيستك وبيتك حق

المعرفة ويعلمون انك تضع جرسا لإنذارك في حالة وقوع سرقة ، وانك تنقل إلى غرفة نومك اثمن النفائس التي تخشى عليها من السرقة .. ولكن اتمم حديثك يا سيدي القس .. هل انطلقت توا في إثر السارق ؟

فاجاب القس وهو يتنهد :

– بل وفعلت اكثر من ذلك .. إذ جعلت أصرخ واصيح مستغيثا ، ويؤسفني في الحق انني فعلت ذلك .. لان رؤسائي يمقتون الضجة وإثارة الفضائح .. وانا واثق بانهم سيعنفونني اشد العنف على انني صرخت واحدثت ضجة .

ولكن من حسن الحظ أن احدا لم يسمع استغاثتي سوى جاري البارون "دي جرافيير" الذي يقيم هنا منذ عشرين سنة ويستثمر بنفسه الأراضي الواسعة الكائنة في الناحية الأخرى من المقبرة .

وقد نصحني البارون بان اقوم بمحاولة خاصة لاسترداد التحف الثمينة والا اخطر رجال الشرطة بالحادث إلا إذا يئست . ولما كان البارون يملك سيارة فقد رجوته أن ينطلق بها في الحال إلى باريس لإحضار صديقي المفتش "جانيمار" .

فقال "جانيمار" بصوت ينم عن الصلف والخيلاء :

– إنني وصلت إلى هنا في الساعة الثامنة وفي الساعة الحادية عشرة كان كل شيء قد انتهى .

فهتف "باربيه" :

– بالله ! ماذا تقول ؟ هل قبضت بالفعل على السارق ؟

فاشار "جانيمار" بسبابته إلى السقف وقال بكبرياء :

– إنه سجين في مخزن الغلال تحت حراسة البارون "دي جرافيير" .

فصاح "باربيه" :

– يا لك من رجل بارع .. اسرد علي ما حدث إذن يا "جانيمار" .. ولكن بإيجاز .

فاجاب "جانيمار" :

– لقد كانت المسالة غاية في البساطة .. وكانت الأدلة كثيرة . كانت هناك آثار اقدام على الأرض المبللة بماء المطر بين الكنيسة وبيت القس، وقد دلت هذه الآثار على أن شخصا واحدا هو الذي قام بهذه

المغامرة الجريئة . وان هذا الشخص سطا اولا على الكنيسة فحمل النفائس إلى مكان قريب ثم جاء بسلم اسنده إلى جدار المنزل وسرق النفائس من غرفة القس ، ثم عاد ادراجه إلى غنيمته الاولى فحملها ولاذ بالفرار .

وقد انقطعت آثار قدمي السارق بالقرب من حانة "هيبوليت" ..

فقال "باربيه" :

– وكان من الطبيعي إذن ان تستجوب صاحب الحانة .

فاجاب "جانيمار" :

– لقد استجوبته ، وما كدت اذكر له الأوصاف التي تبينها سيدي القس في سارق نفائسه حتى هتف : هذه الاوصاف تنطبق تماما على مسيو "فرنيسون" التاجر المتنقل الذي يزور هذه القرية في يوم ٤ مارس من كل عام . وقد جاء بمركبته بعد ظهر امس .. وتناول الغداء في هذه الحانة ثم انطلق لزيارة زبائنه . فسالته :

– ومتى عاد إلى الحانة بعد ذلك ؟

فاجاب صاحب الحانة :

– إنه رجع في الساعة الثانية صباحا كالمعتاد .

سالته :

– وهل هو الآن في الحانة ؟

– لا .. إنه رحل منذ اربعين دقيقة .. وانطلق بمركبته في الطريق إلى "شانتيللي" .

فقال "باربيه" محدثا "جانيمار" :

– وإذن فقد انطلقت في اثره في الطريق إلى "شانتيللي" ؟

–نعم.. وقد استعنت على مطاردته بسيارة البارون "دي جرافيير". فادركته في منتصف الطريق.وعدت به إلى هنا رغم احتجاجه الشديد.

فساله باربيه :

– الم يعترف ؟

– بلى إنه اعترف نصف اعتراف إذ قال لي "ارجو الا تذكروا شيئا لزوجتي" .

– والنفائس المسروقة ؟

- لم نجد لها اثرا في مركبته او في حقائبه .
- وهل الأدلة ضده قوية ؟
- إن الأدلة ضده قوية وكثيرة .. فحذاؤه ينطبق تماما على الآثارالتي وجدناها.. اضف إلى ذلك أن سيدي القس قد قرر انه راى المتهم يتجول في المقبرة بعد ظهر امس.
فقال "باربيه" :
- إذا كنت قد قبضت على السارق . ووجدت الأدلة على إدانته فلماذاجئت بي إلى هنا ؟
فاجاب "جانيمار" بشيء من السام :
- إنني جئت بك إلى هنا للاحتكام امامك في خلاف شجر بيني وبين سيدي القس حول مسالة ثانوية بحتة .
فهتف القس :
- ثانوية ؟ إنها على جانب عظيم من الأهمية .
فساله "باربيه" :
- وما هذه المسالة يا سيدي القس؟
فاجاب القس :
- إنها خاصة .
- خاصة بماذا ؟
- بالأسنان الذهبية .. فالرجل المقبوض عليه ، له حقا سنتان من ذهب . ولكنهما ..
- ماذا ؟
- ولكنهما في الجانب الأيمن من فمه . اما الرجل الذي رايته في غرفتي فكانت سنتاه الذهبيتان في الجانب الأيسر من فمه .
وهنا لم يستطع "باربيه" ضبط نفسه . فانفجر ضاحكا حتى اغرورقت عيناه بالدموع .
ونظر إليه القس "ديسول" في دهشة .. فهتف "باربيه" :
- في الجانب الأيمن من فمه ؟ يا للكارثة ؟ ولكن هل انت واثق بانك لم تخطئ يا سيدي القس ؟ فاجاب القس :
- إنني اشهد الله على صدق قولي .

– وهل سبق لك حقا أن رأيت المتهم في المقبرة ؟

– نعم رأيته في المقبرة بعد ظهر أمس كما قال مسيو "جانيمار" .. ولكن لابد أن الرجل الذي رأيته ليلا في غرفتي يختلف عن المتهم .. بدليل اختلاف موضع السنتين الذهبيتين .

فهتف "باربيه" وهو لا يزال يقهقه :

– ربما كان الرجل قد أبدل وضع سنتيه .. أريد أن أرى هذا المتهم ذا الأسنان المتحركة فجئنا به يا "جانيمار" .

وما هي إلا بضع دقائق حتى اقبل "فرنيسون" المتهم فإذا هو رجل قصير القامة محدوب الظهر قليلا .. تبدو على وجهه علامات الحزن والأسى ويدعو منظره إلى الشفقة .

وقد دخل في أثره رجل آخر طويل القامة عريض الكتفين قوي العضلات يحمل في يده مسدسا . فعرف "باربيه" في هذا الأخير البارون "دي جرافيير" الذي تكلم عنه القس وقال عنه "جانيمار" إنه يتولى حراسة المتهم .

وما كاد يستقر بـ "فرنيسون" المقام في الغرفة حتى راح يقول بصوت حزين:

– إنني لا أفهم شيئا من كل هذا .. تحف ثمينة مسروقة .. وقفل محطم وسلم مسند إلى الجدار .. فما معني كل ذلك ؟

فصاح به "جانيمار" :

– اعترف .. فذلك أجدى لك من اللف والدوران .. اعترف بانك سطوت على نفائس الكنيسة .

فاجاب الرجل :

– إنني أعترف بكل ما يطلب إلي الاعتراف به بشرط الا تخطروا زوجتي بشيء .. لا .. لا .. لا أريد أن تعلم زوجتي بشيء من كل هذا .. لقد بعثت إليها بانني ساعود إلى بيتنا في "أراس" في الأسبوع المقبل . ويجب أن أعود إليها في الموعد المتفق عليه .. بدون أن يقال لها شيء من كل هذا .

ووقف لاهث الأنفاس مفتوح الفم من تاثير الخوف والتعب .. فظهرت سنتاه الذهبيتان في الجانب الأيمن من فمه .

اقترب منه "باربيه" .. ووضع إصبعه في فمه ومس سنتيه وقال بصوت رزين:

- إنهما ثابتتان في الجانب الأيمن من فمه .. بيد أن سيدي القس رأى السنتين في الجانب الأيسر من فم السارق .

فصاح "جانيمار" في غضب :

- ولكن هذا لا يغير شيئا من الواقع .. فالسارق هو هذا الرجل الذي قبضنا عليه .. وقد كان يتردد على هذه القرية طيلة الأعوام الأخيرة فوضع خطته بإحكام . ولما اختمرت الفكرة في رأسه و رأى الفرصة سانحة ، سطا على سطح الكنيسة وعلى بيت القس .إنه السارق أما سيدي القس فقد رأى غير الواقع .. ولا شك أن بصره قد خانه .

فبسط القس ساعده إلى الأمام وقال :

- أشهد الله على أنني رأيت سنتي السارق في الجانب الأيسر من فمه .

- بل في الجانب الأيمن .

- في الجانب الأيسر .

واحتد الرجلان فوقف "باربيه" بينهما وقال :

- لا معنى للجدل الآن .. أود قبل كل شيء أن أعرف وجهة نظر سيدي القس..

فقال القس :

- كل ما أريده هو أن نكون على يقين . فلا نظلم أحدا ولا نأخذ الرجل بجريمة لم يرتكبها .. يجب أن نتحقق أولا . يجب أن نقتنع .

- وإذا لم نتمكن من إقناعك ؟

-في هذه الحالة ألجأ إلى العدالة كما كان يجب علي أن أفعل منذ البداية وإذا لم يكن هذا الرجل هو السارق فليس من حقنا أن نبقيه هنا وأن نسلبه حريته ونعوقه عن عمله.. وأنا أرتاب كثيرا في أنه السارق الحقيقي لأنني رأيت سنتي السارق في الجانب الأيسر من فمه.

فهتف "جانيمار" :

- بل في الجانب الأيمن .

فصاح القس بإصرار :

- بل في الجانب الأيسر .

فقال "باربيه" وهو يضحك :

- لا الجانب الأيمن ولا الجانب الأيسر . اصغ إلي يا سيدي القس .. إنني ساضع السارق الحقيقي بين يديك قبل الساعة التاسعة من صباح غد وسيرشدنا السارق بنفسه إلى المكان الذي اخفى فيه النفائس المفقودة.. ولكن يجب فقط الا تبرحوا هذه الغرفة .. فاقض انت ليلتك في هذا المقعد .. وليرقد سيدي البارون على المقعد المجاور له ومسيو "فرنيسون" على هذا المقعد الثالث.. ولا مانع من ان يشد "جانيمار" وثاق المتهم إذا اراد.. اما انت يا "جانيمار" فكل ما اطالبك به هو ان توقظني في الصباح في الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ بالضبط . وأن تعد لي طعام الفطور من الخبز المحمر والبيض والشيكولاتة ..

وقد شوهد "باربيه" في مساء ذلك اليوم في اكثر من مكان واحد . شوهد في المقبرة يقرأ ما هو مكتوب على شواهد جميع القبور . وشوهد في مكتب التليفون .. ثم شوهد في حانة "هيبوليت" حيث تناول طعام العشاء مع صاحب الحانة .. واخيرا شوهد في بعض الطرق الزراعية وفي بعض الحقول .

ولم يعد "باربيه" إلى بيت القس إلا في الساعة الثانية صباحا فوجد القس يغط في نومه .. والمفتش "جانيمار" ينافسه في الغطيط كانهما في مباراة يحاول كل منهما ان يفوز فيها بالبراعة في الغطيط .

وكان "فرنيسون" هو الوحيد الذي لم يغمض له جفن .. فلم يكد يرى "باربيه" وهو يدخل الغرفة حتى نظر إليه متوسلا ، وقال ضارعا :

- كل ما ارجوه هو الا تخطروا زوجتي .

فلم يجبه "باربيه" . بل ارتمى على احد المقاعد واغمض عينيه .. ونام نوم الأبرار .

وفي الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ تماما ، ايقظه "جانيمار" وقدم إليه طعام الفطور الذي أوصى به فالتهم "باربيه" قطعتين من الخبز . وشرب قدحا من الشيكولاتة ثم اجلس الآخرين حوله وقال :

- هانذا افي بوعدي يا سيدي القس . لقد وعدت بان ارشدك إلى

السارق قبل الساعة التاسعة .. وهذا ما سافعله الآن . اما انت يا عزيزي "جانيمار" .. فإنني سابرهن لك في التو واللحظة كيف ان بصمات الأصابع ورماد لفافات التبغ وغير ذلك من الآثار التي يقيم لها المحترفون من رجال الشرطة اهمية عظيمة في تحقيق الجرائم .. سابرهن لك في التو واللحظة كيف ان هذه الأشياء جميعا لا تذكر إذا قيست بما يستطيع الإنسان ان يفيده من التفكير السليم والتجارب والمنطق.

سابدأ الآن الكلام عن "فرنيسون" فاقول ..

وهنا تحرك "فرنيسون" في مكانه بقلق . وهتف :

- قل عني ما شئت .. فقط ارجو الا تعلم زوجتي شيئا .

فقال "باربيه" :

- منذ ثمانية عشر عاما .. كان مسيو "فرنيسون" يشتغل - كما يشتغل الآن - تاجرا متنقلا .. وكان يمثل احد مصانع الدبابيس . وقد حدث في احد الأيام ان عرج وهو في طريقه على هذه القرية فرأى فيها فتاة تدعى "انجيلا" .. كانت تشتغل حائكة ثياب في هذه الناحية .

رأى الفتاة فاحبها من اول نظرة .. وبادلته الفتاة الحب فحصل من مصنع الدبابيس على إجازة .. وعاد إلى هذه القرية وقضى إجازته في مغازلة الفتاة والتقرب إليها واستطاع اخيرا أن يقنعها بان تقترن به.

وقد كان زواجهما سعيدا وموفقا .. فلم يندم احدهما قط على انه احب الآخر واقترن به ..

بيد ان سعادتهما كانت قصيرة الأجل ككل سعادة في هذه الحياة ، إذ توفيت "انجيلا" بعد عامين .. وخلفت لزوجها التعس والحزن والحسرة .

لم تندمل جراح قلب "فرنيسون" .. وإن يكن قد وقع فيما بعد في شرك فتاة أخرى لعوب تدعى "اونورين" .

وقد استطاعت "اونورين" بدهائها ان تحمله على الاقتران بها ... بيد انها لم تستطع قط ان تنسيه زوجته الأولى .

وقد علمت "اونورين" مع مرور الأيام بما يكنه زوجها لذكرى امرأته الأولي من احترام وإعزاز .. وكانت شديدة الغيرة .. فراحت تضايقه

وتعيب عليه تقديسه ذكرى زوجته الأولى .. حتى صار المسكين لا يجسر على ذكر اسم "انجيلا" امامها .

بيد انه لم ينس "انجيلا" قط .. وذلك هو السر في تردده على قرية "فانيل" مرة في كل عام . اليس كل ما ذكرته صحيحا يا مسيو "فرنيسون" ؟

فاجاب "فرنيسون" :

- بلى كل شيء صحيح .. فقط ارجو الا ..

فقاطعه "باربيه" مستطردا :

- وهكذا راح "فرنيسون" يزور هذه القرية مرة في كل عام ويحرص اشد الحرص على الا تعلم زوجته بامر هذه الزيارات حتى لا تضايقه وتجعل حياته لا تطاق .

كان يزور هذه القرية في اليوم الرابع من شهر مارس من كل عام .. وهو اليوم الذي توفيت فيه "انجيلا" المحبوبة فلا يكاد يصل إلى القرية حتى يقصد توا إلى القبر الذي دفنت فيه "انجيلا" فيجثو امامه الساعات الطوال ثم يقضي بعض الوقت في زيارة الأمكنة التي طالما تنزه فيها مع "انجيلا" ... ويعود اخيرا إلى الحانة في ساعة متاخرة من الليل .

وإن في استطاعتكم ان تروا من هذه النافذة قبر "انجيلا" المحبوبة .. وهو قبر متواضع نقشت عليه هذه الكلمات :

"هنا ترقد انجيلا"

"التي توفيت في ٤ مارس"

"والتي احبها "فرنيسون" ولايزال يبكيها"

وقد قرات هذه الكلمات فكان فيها الكفاية ، لانها تتضمن كل قصة "فرنيسون" .. وتوضح سر زياراته السنوية في موعد لا يتغير ..

ولعلكم تفهمون الآن لماذا يشفق "فرنيسون" من ان تعلم زوجته الحالية بتردده خلسة على هذه القرية .إنه يخشى إذا علمت ان تطارده بغيرتها وغضبها وتحرم عليه زيارة هذه القرية حيث ترقد المراة الوحيدة التي احبها في حياته .

وهنا بكى "فرنيسون" . ولم يعلم احد هل كان بكاؤه حزنا على زوجته

الأولى .. أم خوفا من بطش زوجته الثانية ؟

وكان القس والبارون و"جانيمار" يصغون إلى حديث "باربيه" باهتمام شديد فاستطرد قائلا :

- اوضحت لكم الآن ما كنتم تجهلون من امر "فرنيسون" وزياراته المنتظمة لهذه القرية .. وبسطت امامكم الحل الصحيح لهذه العقدة .. وهذا الحل يوضح كذلك ناحية من نواحي الغموض الذي يكتنف مسالة الكنز المسروق .

نعم .. إن هناك صلة وثيقة بين زيارات "فرنيسون" وسرقة نفائس الكنيسة .

إنكم لا تنكرون بغير شك ان لهذه النفائس قيمة مادية عظيمة تحرك اطماع الطامعين .. وتغري المغامرين بمحاولة الاستيلاء عليها فلا غرابة إذا فكر احد الزائرين او احد اهل القرية في سرقتها .

بيد انه ليس من السهل سرقة هذه النفائس نظرا للاحتياطات الشديدة التي اتخذها القس .. إن اكثر الصعوبات تزول إذا علم الانسان بامر هذه الاحتياطات ووجد فسحة من الوقت لوضع الخطة والتوفر على دراستها بحيث إذا انفذها لم تتجه إليه الشبهة .

نعم.. كان يهم السارق قبل كل شيء أن يكون بمنجاة من الشبهة .. وكانت افضل وسيلة لإبعاد الشبهة عن نفسه أن يوجه التهمة إلى آخر.. إلى "فرنيسون" مثلا .. لان "فرنيسون" يزور القرية والمقبرة في وقت محدد ويحيط حركاته وسكناته في اثناء وجوده في "فانيل" بالكتمان الشديد. ويخلق حول نفسه جوا جديرا بان يثير الشكوك حوله.

وهكذا وضعت الخطة بصبر واناة .. ونسجت خيوطها في هدوء .. ونضجت على مهل .. فاعد السارق الحقيقي قبعة عريضة الحافة كقبعة "فرنيسون . ووضع في فمه سنتين ذهبيتين كسنتي "فرنيسون".. وانتعل حذاء يترك مثل الأثر الذي يتركه حذاء "فرنيسون" .

صفوة القول أن الجريمة دبرت بحيث تلصق تهمتها بهذا الرجل البريء دون الفاعل الحقيقي الذي يحتمل ان يكون من المقربين إلى القس ذاته .. ومن أعلم الناس بشؤونه وعاداته .

وهنا صمت "باربيه" ليترك لسامعيه فرصة لاستيعاب كلامه وإدراك الحقيقة التي بدات تتبلج .

اما "فرنيسون" فإنه اطرق براسه .. وبدا في صورة الضحية البريئة فقال ، له "باربيه" :

– كن مطمئنا يا مسيو "فرنيسون" .. وثق بان زوجتك لن تعلم بشيء مما حدث .. واغفر لصديقي "جانيمار" غلطته ثم اغفر لي انني فتشت مركبتك ليلا بدون علمك وعثرت على رسائل "انجيلا" إليك وقراتها بدون ان تاذن لي بذلك .

إنك حر يا مسيو "فرنيسون" .. فانصرف إذا شئت .

فنهض "فرنيسون" واقفا.. وهم بالانصراف . فصاح "جانيمار" بحدة:

– صبرا لحظة .

فساله "باربيه" :

– ماذا عندك يا "جانيمار" ؟ تكلم .

فصاح مفتش الشرطة :

– والسنتان الذهبيتان ؟ لا يجب إهمال هذه النقطة .. لقد لاحظ سيدي القس وجود سنتين ذهبيتين في فم السارق .. وها نحن نرى هاتين السنتين في الجانب الايمن من فم مسيو "فرنيسون" .. فكيف تستطيع التجاوز عن هذه القرينة ؟

فقال القس مصححا كلام "جانيمار" :

– إنني رايت السنتين في الجانب الأيسر من فم الرجل .

فقال "جانيمار" .

– او في الجانب الايمن .

– كلا .. أؤكد انهما كانتا في الجانب الأيسر .

فضحك "باربيه" وقال :

– كفى مشاحنة .. إنكما تتجادلان في امر واضح وضوح الصبح لذي عينين . وإنه ليدهشني حقا يا "جانيمار" وانت من كبار رجال الشرطة ان تقف هكذا حائرا شارد اللب امام عقدة بسيطة كهذه العقدة التي يستطيع اي غلام في المدرسة ان يحلها .

إنك رايت السارق في هذه الغرفة يا سيدي القس .. اليس كذلك ؟

- بلى .
- وقد رأيته ليلا .
- بلى .
- إذن لنغلق هذه النافذة ولنسدل الستار لكي يسود الظلام .. هذا حسن .. والان يا مسيو "فرنيسون" .. ارجو أن تعيرني قبعتك العريضة ومعطفك .

وارتدى "باربيه" معطف "فرنيسون" وقبعته .. ورفع ياقة المعطف ووقف أمام القس .. ثم اخرج من جيبه مصباحا كهربائيا صغيرا واضاءه .. وسلط ضوءه على فمه .. فصاح القس على الفور وقد أعاد ذلك المنظر إلى ذهنه ما وقع ليلة السرقة :

- الرجل ذو السنتين الذهبيتين ؟

فسأله "باربيه" :

- في اية ناحية من فمي ترى السنتين الذهبيتين يا سيدي القس ؟
- في الناحية اليمنى .. ولكني رأيتهما في تلك الليلة في الناحية اليسرى..

فاطفا "باربيه" مصباحه الكهربائي .. ثم امسك بكتفي القس وأرغمه على أن يدور حول نفسه مرارا .. ثم أشعل مصباحه الكهربائي فجأة .. وقال بلهجة الأمر :

- والآن .. انظر امامك .. أمامك تماما .. الا ترى السنتين الذهبيتين؟ في اية ناحية هما الآن ؟

فأجاب القس في دهشة وذهول :

- في الناحية اليسرى ..

فاطفا "باربيه" مصباحه ، ورفع الستار ، وفتح النافذة .. وقال :

- إنك لست على بينة من أمرك كما رأيت يا سيدي القس فقد ذكرت مرة أنك رأيت سنتي الذهبيتين في الجانب الأيمن من فمي ، ثم ذكرت انهما في الجانب الأيسر .. ولكني ساوضح لك الحقيقة وافسر لك ما حدث ليلة السرقة .

إنك عندما استيقظت من نومك في تلك الليلة .. كنت مضطرب الذهن، مضطرب الأعصاب .. فلم تلاحظ انك ادرت ظهرك إلى النافذة وحولت

وجهك شطر الموقد ، وأن السارق لم يكن امامك .. بل كان إلى جانبك ، فلما اضاءت المصباح لم يسقط الضوء على السارق .. بل سقط على صورته المنعكسة على هذه المرآة المثبتة بالجدار ، وذلك بالضبط ما حدث لك الآن .. فإنني جعلتك تدور حول نفسك حتى إذا اضطربت حواسك ، جعلتك ترى صورتي منعكسة في المرآة .. فخيل إليك انك تراني . ولست بحاجة بالتاكيد لأن انكرك بان المرآة تعكس اوضاع الأشياء ، فانت ترى فيها اليمين يسارا واليسار يمينا ... وهذا هو السر في انك رايت في الجانب الأيسر من فم السارق سنتين كانتا في الواقع في الجانب الأيمن من فمه ..

فصاح "جانيمار" بلهجة الفوز :

- هذا صحيح .. وإذن فقد كنت على حق .. بيد ان هذا لا يمنع من القول بان سيدي القس لم يخطئ حين اكد انه راى السنتين في الجانب الأيسر .. ومهما يكن من امر فقد اصبح من المؤكد ان للسارق سنتين من ذهب .. وما دام "فرنيسون" لم يسرق فيجب ان نبحث الآن عن رجل آخر في فمه سنتان ذهبيتان ..

فقال "باربيه" في هدوء :

- كلا ..

فصاح "جانيمار" :

- ماذا ؟ اليست للسارق سنتان ذهبيتان ؟

فقال "باربيه" :

- وهل تعتقد ان لي سنتين ذهبيتين ؟

واخرج من فمه ورقة مذهبة كان قد وضعها فوق سنتيه .. فاصبح يخيل للناظر ان السنتين من ذهب .. واستطرد قائلا :

- ارايت الآن كيف انه ليس من الضروري ان تكون للسارق سنتان ذهبيتان ؟ وان اتخاذ شخصية "فرنيسون" لم تكلف السارق اكثر من قبعة عريضة وحذاء مماثل لحذاء هذا المتهم البريء ، وان تقليد السنتين الذهبيتين لم يكلفه اكثر من ابتياع قطعة من الورق المذهب كالقطعة التي ابتاعها البارون "دي جرافيير" من حانوت القرية منذ ثلاثة اشهر ؟

وقد نطق "جان باربيه" بالعبارة الأخيرة بقلة اكتراث .. ولكنها احدثت اثرها السريع ، فساد صمت عميق .. وظهرت على وجه "جانيمار" والقس علامات الدهشة والذهول .. بدأت الحقيقة تتبلج امام عيني "جانيمار" بعد هذا الإيضاح الذي أدلى به "باربيه" ، فنظر إلى البارون مرتابا مستنكرا .

اما القس فبقي في مكانه مذهولا .. وراح يلتقط انفاسه بصعوبة ، حتى كان يخيل للناظر إليه انه يوشك ان يختنق .. وجعل ينقل البصر خلسة بين البارون والمحامي ..

وأما البارون "جرافيير" فقد احمر وجهه فجاة .. ولكنه لم ينطق بكلمة ..

ورد "باربيه" القبعة والمعطف إلى "فرنيسون" .. فتناولهما هذا الأخير وقال وهو يهم بالانصراف :

- هل تؤكدون لي ان زوجتي لن تعلم شيئا من كل هذا ؟ يالإلهي إنها لو علمت..

فقاطعه "باربيه" :

- كن مطمئنا ..

ورافقه "باربيه" إلى الباب ثم عاد ادراجه وعلى وجهه علامات السرور . فرك يديه بارتياح وقال :

- لقد احرزت في حل هذه المشكلة فوزا سريعا من حقي أن افخر به.. ولكن هل تعلم كيف وصلت إلى هذا الحل السريع أيها العزيز "جانيمار" ؟ .. إنني لم اتحول قط عن طريقتي العادية التي رايتني اسير عليها في جميع القضايا التي عملنا فيها معا .. وهذه الطريقة هي الا اتهم الشخص الذي أرتاب فيه فلا استجوبه ، ولا أستوضحه شيئا ، ولا اهتم به .. بل اسقطه من حسابي ، واتظاهر بانني لا اشعر بوجوده .. وبذلك يطمئن إلى انه بعيد عن كل الشبهات والريب ، وبينما هو في اشد حالات الطمانينة والثقة بالنفس .. اعيد امام نظره تمثيل المغامرة التي كان هو بطلها ، والقي امامه ضوءا ساطعا على السر الذي كان يعتقد انه لن يفتضح .. وبذلك يجد نفسه فجاة - وعلى غير انتظار - مقهورا مشدوها حائرا ، ويرى امامه جميع الأدلة التي

تثبت إدانته .. فتضطرب أعصابه ، ويطيش عقله ، ولا يفكر حتى في أن يحتج أو يدافع عن نفسه .

أليس كذلك يا سيدي البارون ؟ أتوافقني على هذا الرأي ؟ أنا بالتأكيد لم أعد بحاجة إلى ذكر ما عندي من الأدلة .. وبحسبي أنني شرحت الحادث وشرحت حالتك النفسية شرحا ينطبق على الواقع والحقيقة .

ولابد أن يكون البارون قد عانى حقا ذات المشاعر التي ذكرها "باربيه"، لأنه لم يحاول دفاعا أو احتجاجا .. بل أطرق برأسه ، واحمر وجهه ثم اصفر .. وكان حاله حال مجرم ضبط متلبسا بجريمته ..

فاقترب منه "باربيه" .. وقال له في هدوء ، وبلهجة التأكيد :

– ومع ذلك فيجب أن تكون مطمئنا يا سيدي البارون .. لأن أحدا لن يفيد من هدمك وإرسالك إلى السجن ، ولأن سيدي القس لا يريد إحداث أية ضجة أو أية فضيحة .. كل ما يريده الأب "ديسول" ، هو أن ترد إليه النفائس المفقودة .. وبذلك يعتبر الحادث كأن لم يكن ..

فرفع البارون "دي جرافيير" رأسه ، وحملق لحظة إلى وجه خصمه العنيد ثم غمغم :

– ألا يبلغ الأمر إلى رجال العدالة ؟ ألا تثار حولي أية فضيحة ؟ وهل يقطع سيدي القس على نفسه عهدا بألا يبوح بشيء مما حدث ..؟

فهتف الأب "ديسول" :

– أعدك بأن أكتم ما حدث .. بل وبأن أتناسى كل شيء فور عودة النفائس إلى موضعها .. ولكن .. هل يمكن هذا يا سيدي البارون ؟ وهل صحيح أنك الذي أقدمت على هذه الفعلة ؟ .. أنت الذي اتخذتك من دون أهل القرية صديقا وصاحبا ، وكنت أعتقد فيك النبل والأمانة والإيمان؟

فأطرق البارون برأسه .. وظهرت على وجهه علامات الذلة والمسكنة.. وغمغم يقول بلهجة الغلام الذي يعترف بخطئه :

– عفوا يا سيدي القس .. إنني لم أستطع مقاومة الإغراء كنت أرى هذه النفائس دائما أمامي ، وفي متناول يدي .. فما زلت أكبح جماح نفسي حتى صرت إلى حالة عجزت معها عن كل مقاومة ..

نعم .. إنني قاومت ، وقاومت ، لانني لم اكن راغبا في الحصول على ما ليس من حقي .. ولكن إغراء الشيطان كان اقوى من إرادتي ، فعملت بوحي الطمع والجشع .. ورجحت في نفسي كفة الشر على كفة الخير ، واخذت افكر واضع خطة للعمل :

فهتف القس في الم ..

- يا إلهي .. ايمكن هذا .. ايمكن هذا ؟

فقال البارون :

- نعم .. هذا ما حدث .. فقد فكرت في الاستيلاء على النفائس .. ليس لقيمتها الفنية او الاثرية ، بل لقيمتها المادية .. ذلك لانني خسرت كل ثروتي في المضاربات ، وسدت امامي جميع السبل .. حتى لقد فكرت اخيرا في بيع اثمن ما املك من اثاث وتحف ، ووضعت هذا الاثاث وهذه التحف في حظيرة سيارتي استعدادا لبيعها فيما إذا اخفقت المغامرة التي دبرتها .

قررت إذن ان انقذ موقفي مهما كلفني الامر .. وكنت قد فكرت فيما مضى في إمكان السطو على نفائس الكنيسة . وخطرت لي في ذلك العهد ذات الخطة التي انفذتها اخيرا ، ولكني - كما قلت - استطعت وقتذاك ان اتخلص من إغراء الشيطان . فلما تحرجت أحوالي المالية اخيرا فكرت من جديد في تلك الخطة القديمة.. وفي إمكاني إنفاذها ..

واقترب يوم ٤ مارس .. فلم استطع مقاومة الإغراء وسقطت في هوة الجريمة. فغفرانك يا أبي ..

فقال القس :

- إنني اغفر لك .. واسال الله الا يجزيك جزاء صارما . فنهض البارون واقفا وقال بلهجة فيها العزم :

- والآن .. تعالوا معي لادلكم على مكان النفائس ..

وغادروا بيت القس .. وساروا في الطريق العام كما يسير طلاب النزهة ..

وكان البارون يمشي بخطوات ثقيلة .. اما القس فكان يخرج منديله بين وقت وآخر ليجفف العرق المتصبب على جبينه .

أما "جانيمار" .. فكان في اشد حالات القلق ..

لم يكن عنده شك في أن "باربيه" الذي استطاع حل اللغز بهذه السرعة المدهشة قد استطاع كذلك أن يضيف النفائس إلى ممتلكاته الشخصية ..

واما "باربيه" .. فكان بادي السرور والاغتباط ، فاقترب من "جانيمار" وقال له في همس :

- يا إلهي .. كيف لم تعرف المجرم الحقيقي لاول وهلة ايها الاعمى ؟.. اما انا فقد شعرت في الحال بان قدوم "فرنيسون" إلى هذه القرية مرة واحدة في العام لم يكن يكفي لوضع مثل هذه الخطة وتنفيذها ، وايقنت ان هذه المغامرة لم يضطلع بها سوى رجل من اهل هذه الناحية .. بل ومن الجيران المقربين إلى القس .. ولم اجد اقرب إلى القس من هذا البارون ، فإن بيته يطل على الكنيسة وعلى منزل الأب "ديسول" .. وقد كان بطبيعة الحال على علم بجميع الاحتياطات التي اتخذها القس لصيانة نفائسه ، وكان على علم كذلك بالزيارات المنتظمة التي كان يقوم بها "فرنيسون" .. وبذلك استطاع ان يضع خطة محكمة لإلصاق التهمة بالرجل البريء ..

بيد أن "جانيمار" لم يكن يصغي إليه .. بل كان في شغل بالتفكير في المفاجاة المنتظرة .. نعم .. كان واثقا بانهم متى بلغوا المكان الذي اخفى فيه البارون النفائس.. وجدوه خاليا .. ولم يقعوا فيه على اثر للتحف الثمينة .

استطرد "باربيه" :

- ولما اطماننت إلى انني قد فهمت الوضع الصحيح للقضية وجهت التهمة إلى البارون في جراة .. بدون أن يكون عندي دليل واحد أو شبه دليل .. فرايت الرجل يضطرب وينكمش ، فضاعفت الهجوم .. وها هي ذي النتيجة ..

أوه يا "جانيمار" العزيز .. إنك لا تستطيع أن تدرك مبلغ اغتباطي بامثال هذا الفوز الذي ينهض قبل كل شيء على أساس من التفكير السليم والاستنتاج الصحيح .

فهز "جانيمار" رأسه وقال :

- بل إننا لم نعرف النتيجة بعد ..

وكان البارون في هذه الأثناء قد تجاوز حدود أملاكه ، وعرج على ممر ضيق مغطى بالعشب .. فسار فيه نحو مائة متر .. ثم وقف أمام دغل من أشجار السنديان وقال :

- هنا خبات التحف الأثرية .. بين هاتين الشجرتين ..

فاندفع القس إلى حيث أشار البارون .. وتبعه "جانيمار" وهو يلهث من فرط القلق والانفعال ..

واعمل الرجلان أصابعهما في كومة من التراب .. وما لبث القس أن صاح في جذل :

- ها هي ذي التحف .. ها هو ذا الشمعدان والصليب .. يا إلهي .. ها هي ذي القطعة الخامسة ، وها هي ذي السادسة .

فهتف "جانيمار" :

- وها هي ذي القطعة السابعة .. فصاح القس :

- إنها جميعا تسع قطع .. فاين القطعتان الباقيتان ؟

فقال "جانيمار" وهو يتنفس الصعداء :

- ها هما .. احسنت يا "باربيه" .. هذا في الحق ابدع واشرف ما صنعت في حياتك ..

وكان القس يكاد يطير سرورا وهو يضم النفائس إلى صدره .. وغمغم والدموع تترقرق في عينيه :

- يا مسيو "باربيه" .. إنني لا اعرف كيف اشكرك ، فليجزك الله عني خير الجزاء .

بيد أن "جانيمار" لم يخطئ حين توقع حدوث مفاجاة فقد حدثت هذه المفاجاة بعد بضع دقائق .

لم يكد القوم يعودون ادراجهم ويقتربون من بيت القس حتى أبصر البارون بعض خدمه ورجاله وقوفا بباب قصره وهم ينادونه ويطلبون إليه الإسراع.. فاسرع الرجل الخطى .. حتى وصل إليهم .. ولم يكد يسمع اول عبارة نطق بها كبير الخدم حتى ادرك مدى الكارثة التي نزلت به .. فهجم على حظيرة السيارات .. فوجد بابها محطما ولم يجد في الداخل أي اثر للأثاث القديم النفيس والتحف الثمينة التي كان قد نقلها هناك تمهيدا لبيعها إذا فشلت مغامرته . كان هذا

الأثاث وتلك التحف أثمن ما بقي لديه .

صاح وهو يترنح :

- هذا مخيف ، متى سرقت كل هذه الأشياء ؟

فأجابه أحد الخدم :

- لابد أنها سرقت هذه الليلة ، فقد كانت الكلاب تنبح بشدة حوالي منتصف الليل .

- ولكن كيف استطاع اللص أو اللصوص أن يحملوا هذه .. ؟

- إنهم حملوا غنيمتهم في سيارة سيدي البارون ؟

- في سيارتي ، إذن فقد أخذوا السيارة كذلك ؟

كانت نكبة تضعضعت لها حواس البارون .. فسقط بين ذراعي القس الذي راح يعزيه في خسارته ويقول له بصوت عذب :

- إن عقاب الله لم يتأخر كثيرا يا سيدي المسكين ، فقابل المصيبة بجلد ، وبقلب مليء بالإيمان .

ورأى "جانيمار" وسمع وفهم كل شيء .. فنظر إلى "باربيه" وقد ضم قبضتيه كأنه يهم بالوثوب عليه ، ثم قال محدثا البارون :

- يجب أن نخطر رجال الشرطة بهذا الحادث يا سيدي البارون وأنا واثق بأنهم سيعثرون على المسروقات ويردونها إليك .

فقال "باربيه" وهو يبتسم :

- لاشك أن رجال الشرطة يستطيعون العثور على المسروقات ولكن المسألة هي أن إبلاغ الشرطة أمر خطر على البارون .

فاقترب "جانيمار" من "باربيه" وهو يحدجه بنظرة تهديد .. وقابله هذا في منتصف الطريق وقال له وهو يتأبط ساعده :

- هل تعرف ماذا كان يحدث لولاي ؟ لولاي لضاعت نفائس القس إلى الأبد . ولألقي "فرنيسون" المسكين في غيابة السجن .. ولعلمت زوجته بأمر زياراته الخفية لهذه القرية .

- قبحك الله ... إذا صادفتك في طريقي مرة أخرى فسوف ...

- ٣ -

السندات المسروقة

كان اول ما فعله مسيو "جاسير" حين استيقظ من نومه انه أرسل بصره إلى المنضدة القريبة من فراشه ، ليتحقق من وجود حزمة السندات التي جاء بها في المساء .

اطمان إلى وجودها حيث وضعها .. فنهض من فراشه .. وشرع يرتدي ثيابه.

كان مسيو "جاسير" رجلا قصير القامة بدين الجسم .. يشتغل بالمضاربات والأعمال المالية وقد استطاع بجده ونشاطه ان يكتسب عددا كبيرا من الزبائن الذين ائتمنوه على اموالهم .. فوضعوا بين يديه كل ما ادخروه . وراح هو يعمل على تنمية هذه الأموال .. ووفق في ذلك إلى ابعد حدود التوفيق بفضل نجاحه في بعض المضاربات الجريئة .. وبفضل الأرباح الباهظة التي كان يجنيها من إقراض المال بالربا الفاحش .

وكان مسيو "جاسير" يقيم في الطابق الأول من منزل كبير ابتاعه منذ بضعة اعوام .. وكان هذا الطابق يتكون من غرفة للنوم واخرى للأستقبال وثالثة للطعام ورابعة للعمل وخامسة لموظفيه الثلاثة .. ذلك عدا المطبخ والمغسل .

كان رجلا مدبرا شحيحا .. وقد عز عليه ان يدفع أجرة خادمة تقوم بتدبير شؤون البيت فاتفق مع حارسة الباب على أن تقوم بهذه المهمة، وهي امراة كبيرة الجسم نشيطة .. فكانت تحمل إليه رسائله في الصباح وتضع له طعام الفطور .. ثم تقوم بتنظيف البيت .. وتنصرف بعد ذلك إلى عملها الأساسي وهو حراسة الباب الخارجي .

ففي صباح ذلك اليوم قامت حارسة الباب بعملها كالمعتاد وانصرفت من بيت مسيو "جاسير" في منتصف الساعة التاسعة .. وبقي هذا الأخير وحده يتناول طعام الفطور وينتظر قدوم موظفيه كالمعتاد .

تناول الرجل طعامه في هدوء وفض رسائله وقرأها .. ثم راح يلقي نظرة على إحدى الصحف .

وبينما كان يفعل ذلك .. إذا به يسمع فجاة حركة في غرفة نومه فتذكر في الحال حزمة السندات التي تركها على المنضدة .. ووثب إلى غرفة النوم بسرعة.. وكانت نظرة واحدة إلى المنضدة كافية لأن تدله على أن حزمة السندات قد اختفت .

كان لغرفة النوم باب آخر يؤدي إلى السلم وقد اعتاد مسيو "جاسير" أن يبقيه مغلقا .. غير أنه لاحظ وهو يدخل الغرفة أن هذا الباب قد أغلق بعنف .. فهجم عليه .. وحاول أن يفتحه . ولكن الباب لم يكن يفتح إلا بالمفتاح . وقد اعتاد هو أن يحفظ المفتاح في درج مكتبه ..

فكر الرجل في الأمر بسرعة .. وقال لنفسه : إذا أضعت الوقت في البحث عن المفتاح .. فر المجرم بدون أن يراه أحد .

قال ذلك وأسرع إلى النافذة التي تطلّ على الشارع ففتحها ... وأطل منها ليرى السارق إذا حاول الخروج .

وكان الشارع خلوا من المارة .. فاطمأن مسيو "جاسير" إلى أن السارق لايزال في المنزل .

وعلى الرغم من انزعاج الرجل وشدة ذعره وهلعه ..فإنه لم يفكر في الاستغاثة وطلب النجدة إلى أن رأى بعد دقيقة أو دقيقتين أحد موظفيه مقبلا من الشارع المجاور فصاح به :

– أسرع .. أسرع يا "سارلونيه" .. ادخل المنزل وأغلق الباب ولاتدع أحدا يخرج .. إنني سرقت يا "سارلونيه" والسارق لايزال في المنزل .

ومازال يطل من النافذة حتى رأى "سارلونيه" يدخل المنزل ويغلق الباب . فتنفس بارتياح . وهبط السلم مسرعا .. ووجد "سارلونيه" واقفا بجانب الباب .

سأله في لهفة :

– ألم تر أحدا يا "سارلونيه" ؟

– كلا . لم أر أحدا يا سيدي .

– ألم يخرج أحد ؟

- لم يخرج احد .

فاسرع إلى حجرة حارسة الباب . فوجدها تشتغل بتنظيف حجرتها فصاح بها :

- لقد سرقوني .. الم يدخل احد حجرتك .. الم يختبئ أحد عندك ؟

فاجابت المراة في ذعر وجزع :

- يا مسيو "جاسير" .. لم يدخل عندي احد .

- هل انت واثقة ؟

- إنني لم أبرح هذه الحجرة منذ فرغت من تنظيف بيتك .

- الم يخرج احد ؟

- لم يخرج أحد .

فهتف مسيو "جاسير" :

- معنى هذا إذن ان السارق صعد السلم بدلا من ان يهبط . يا إلهي.. هذا مخيف .

قال ذلك وفتح الباب .. فراى اثنين من موظفيه مقبلين .. فقص عليهما ما حدث بعبارات مقتضبة ثم اصدر اوامره إلى موظفيه الثلاثة بان يمنعوا اي كائن من كان من الخروج او الدخول إلى ان يصدر إليهم أوامر اخرى .

ثم صعد إلى بيته مسرعا . وتناول سماعة التليفون وهتف :

- آلو .. آلو .. يا مدموازيل .. اريد الاتصال حالا بإدارة الشرطة . إدارة الشرطة ؟ هل المفتش "جانيمار" موجود ؟ اريد التحدث إليه بسرعة .. انا "بيير جاسير" من رجال الأعمال .. ومسيو "جانيمار" من عملائي . اريد الاتصال به حالا . آلو .. آلو .. أهذا انت يا "جانيمار" ؟ شكرا لله . نعم كل شيء على ما يرام ، او على الأحرى ، كل شيء ليس على ما يرام لقد سرقت سنداتي المالية. يستحيل عليك الحضور ؟ لأنك حصلت على إجازة ؟ ولكن اي شان لي بإجازتك ؟ احضر حالا .. حالا.. فسنداتك قد سرقت ضمنا مع الحزمة التي فقدت من غرفتي !

وقد سب "جانيمار" وشتم ووضع السماعة بعنف دل على مبلغ

اهتمامه وانفعاله فاطمان مسيو "جاسير" إلى أن مفتش الشرطة لن يبطئ في الحضور.

والواقع انه لم تكد تنقضي بضع دقائق ، حتى وقفت بالباب سيارة وهبط منها "جانيمار" وهو منقلب السحنة . فصاح حالما وقع بصره على "جاسير" :

- سنداتي ؟ .. أين سنداتي التي ابتعتها بكل ما ادخرته من مال ؟

فاجاب مسيو "جاسير" :

- إنها سرقت مع سنداتي وسندات جميع زبائني ..

- سرقت ؟

- نعم .. سرقت من غرفتي منذ نصف الساعة .

- يا للشيطان .. وما الذي جاء بسنداتي إلى غرفتك ؟

- إنني سحبتها امس من بنك "الكريدي لونيه" لأودعها اليوم في بنك فرنسا..

فالقى "جانيمار" على كتفه يدا من حديد وصاح :

-إنك المسؤول يا مسيو "جاسير".وعليك ان تدفع لي قيمة سنداتي..

- ومن اين لي المال ؟ انني خربت .. افلست ..

- خربت ؟ افلست ؟ وهذا المنزل ؟ الا تملك هذا المنزل ؟ .

- إنه مرهون من بابه إلى سطحه ..

وقام بين الرجلين جدل عنيف .. فارتفع صراخهما .. وحدث في هذه اللحظة ان فتاتين من سكان المنزل أرادتا الخروج فصاح "جانيمار" في غضب :

- كلا .. يجب الا يخرج احد .. يجب الا يخرج احد قبل أن أجد سنداتي ..

فقال مسيو "جاسير" مقترحا :

- هل تظن اننا سنحتاج إلى معونة ؟ إذا شئت فإنني أستعين بصبي البقال او صبي القصاب لمنع سكان المنزل من الخروج .

فاجاب "جانيمار" :

- كلا ، إننا لسنا بحاجة إلى معونة صبيان البقالين والجزارين ،

ولكن إذا كان لابد من الاستعانة باحد ، فلاتصل تليفونيا في الحال بمكتب "باربيه" المحامي ثم يجب كذلك إبلاغ الامر إلى الشرطة ، ولكن لا.. إن في هذا مضيعة للوقت ، يجب ان نشرع في العمل حالا .. وحاول ان يملك نفسه ، ويسيطر على اعصابه ، ويقبض على زمام الموقف .. ولكن ارتجاف شفتيه كان ينم عن اضطرابه وانفعاله . قال محدثا مسيو "جاسير" :

– يجب ان نعمل في هدوء ورزانة ، إننا مازلنا نسيطر على الموقف ، ولايزال في مقدورنا ان نضع ايدينا على السندات قبل ان يستطيع السارق تهريبها من المنزل .المهم الا يخرج احد .

ثم راح يستجوب الفتاتين .. فعلم ان إحداهما تشتغل بالكتابة على الآلة الكاتبة .. وان الثانية تعطي دروسا في العزف على البيان .. وانهما تريدان الخروج لابتياع حاجتهما من الطعام فقال لهما "جانيمار" بإصرار :

– يؤسفني جدا انني مضطر إلى منعكما من الخروج وسيبقى باب هذا المنزل مغلقا طيلة هذا اليوم . يا مسيو "جاسير" .. ضع اثنين من موظفيك هنا لحراسة الباب .. وعلى الثالث ان يقوم بقضاء حوائج سكان البيت .. وربما استطعت بعد الظهر ان ارخص للسكان بالخروج وعندئذ يتعين تفتيش كل حزمة وكل علبة او صندوق يخرج به احد السكان من المنزل .

والان هلم بنا إلى العمل .

وهكذا بدات عملية التحقيق والتفتيش .

كان المنزل يتكون من ثلاثة طوابق : يقيم مسيو "جاسير" في اولها .. ويقيم في الثاني مسيو "توفمون" عضو مجلس النواب ومن الوزراء السابقين .

أما الطابق الثالث . فكان مقسما إلى قسمين .. تقيم في احدهما الآنسة "ليجوفييه" التي تشتغل بالكتابة على الآلة الكاتبة . وتقيم في الثاني الآنسة "هافلين" معلمة البيان .

وقد علم "جانيمار" من حارسة الباب أن مسيو "توفمون" خرج من المنزل في منتصف الساعة التاسعة وقصد إلى مجلس النواب ليتولى

رئاسة إحدى اللجان البرلمانية ولا ينتظر ان يعود قبل الظهر .
ولذلك اضطر "جانيمار" إلى أن يؤجل تفتيش الطابق الثاني إلى ان يعود النائب .. وقصد إلى الطابق الثالث ففتشه تفتيشا دقيقا ، ثم فتش سطح المنزل والطابق الذي يقيم به مسيو "جاسير" نفسه .. ولكن بغير جدوى .
وحوالي الظهر ، عاد النائب "توفمون" وهو رجل وقور وسياسي حازم اكتسب احترام جميع الاحزاب .
وقد اشتهر هذا الرجل بحافظة أوراقه الضخمة التي لا تفارقه ابدا منذ كان وزيرا .. واشتهر كذلك بانه قليل الكلام في مجلس النواب .. ولكنه كان إذا تكلم أو وجه إلى الحكومة استجوابا .. ارتجف اعضاء الوزارة إشفاقا على كراسيهم .
دخل هذا الرجل المحترم البيت بخطى بطيئة متزنة .. ودلف إلى حجرة حارسة الباب لياخذ رسائله .. فلحق به مسيو "جاسير" هناك .. وسرد له تفاصيل حادث السرقة .
وقد اصغى إليه النائب باهتمام ووعد بان يستخدم نفوذه لدى رجال الشرطة إذا ابلغهم مسيو "جاسير" الامر .. واصر على ان يفتش القوم منزله .. قال:
- ومن يعلم .. ربما كان بعضهم قد استطاع ان يصنع مفتاحا لشقتي وان يخفي السندات المسروقة بين امتعتي .
فتعاون "جاسير" و"جانيمار" على تفتيش بيت النائب .. ولكنهما لم يعثرا فيه على اثر للسندات ..
واخيرا قرر الرجلان ان يتناولا طعام الغداء في مطعم صغير يقع في مواجهة المنزل .. وكان في استطاعتهما وهما في المطعم ان يرقبا باب المنزل .
ولم يشعر"جانيمار" بقابلية للطعام إذ افقدته خسارة سنداته كل شهوة للطعام.. وكذلك كان حال مسيو "جاسير" الذي لم يفتا يشكو الدوار .. فترك الرجلان صحاف الطعام وراحا يقلبان المشكلة على جميع وجوهها وكل منهما يحاول أن يجد عند الآخر ما يبعث على الاطمئنان .

قال "جانيمار" :

- إن المسالة غاية في البساطة .. فقد استطاع احدهم ان يدخل غرفتك ويسرق السندات .. ولكن احدا لم يبرح المنزل .. وهذا معناه بالتاكيد ان السارق لايزال موجودا بالمنزل . وكذلك السندات ..

فهتف "جاسير" :

- هذا صحيح !

- وإذن فسنداتي لاتزال في المنزل . اللهم إلا ان تكون قد طارت من إحدى النوافذ .. وهذا بالتاكيد ..

ولم يتم "جانيمار" كلامه .. وارتسمت في عينيه فجاة علامات الذعر والرعب..

راح يحملق نحو رجل راه يجتاز الشارع ويقترب من باب البيت .. غمغم قائلا :

- هو ذا "باربيه" ، يا للشيطان ، ماذا جاء به إلى هنا ؟

فقال "جاسير" في شيء من الاضطراب :

- الم تقل لي إننا نستطيع الاستعانة بالمحامي "جان باربيه" ؟ لقد شعرت بحرج الموقف ، ورايت اننا لا نخسر شيئا إذا اشركناه معنا في البحث ، فاتصلت به تليفونيا .

فصاح "جانيمار" :

- ولكن هذا هو الجنون بعينه .. من ذا الذي يتولى التحقيق هنا ؟.. انا أم انت ؟ .. إن "باربيه" يجب الا يكون له شان معنا .. يجب الا يدخل هذا المنزل.. هل فهمت ؟

إنه دخيل ينبغي لنا ان نحذره ، كلا ، كلا ، إننا نستعين بالثعابين ولا نستعين بهذا الرجل .

وشعر "جانيمار" فجاة بان الاستعانة بـ "باربيه" في هذا الحادث خطر شديد لا تؤمن مغبته . شعر بانه إذا دخل المنزل ووضع إصبعه في الحادث ، واهتدى إلى مكان السندات ، فإنه لن يتردد في وضعها في جيبه خصوصا إذا علم ان بعض هذه السندات تمثل كل الثروة التي جمعها طيلة حياته .

استولى عليه الغضب ، فنهض مسرعا ، وعبر الشارع ، ووصل إلى

باب المنزل في الوقت الذي هم فيه "باربيه" بان يقرع الباب .

قال له بصوت خافت ، ولكنه يرتجف غضبا وانفعالا :

- اذهب من هنا ، لسنا بحاجة إليك ، لقد اتصلوا بك خطا ، اذهب .

فنظر "باربيه" إليه في دهشة وهتف :

- ماذا دهاك أيها العزيز "جانيمار" ؟ أراك حانقا عليّ بلا مبرر ...

- لا عمل لك هنا . فانصرف ، وباسرع ما يمكن .

- لابد إذن ان ما قيل لي تليفونيا صحيح ، وإذن فقد سلبوك أموالك المدخرة أيها المسكين "جانيمار" ! الست بحاجة إلى مساعدة ؟

فصرخ "جانيمار" :

- قلت لك اذهب من هنا ، وباسرع ما يمكن ، انا افهم معنى مساعدتك ، إنك دائما تبدأ بمساعدة نفسك قبل ان تساعد غيرك .

- اخائف انت على سنداتك ؟

- نعم ، إذا وضعت إصبعك في الموضوع فلن ارى سنداتي ابدا .

- إذن دعنا من هذا الموضوع . واغرب عن وجهي .

- قلت لك إنني لا أسمح لك بالدخول .

- لست بحاجة لأن تسمح لي فإن لي عملا في هذا المنزل ، ولابد أن ادخل .

وكان مسيو "جاسير" قد لحق بهما . فالتفت إليه "باربيه" وقال له :

- عفوا يا سيدي .. هل تقيم بهذا المنزل انسة تشتغل بتعليم العزف على البيان تدعى الآنسة "هافلين" ؟

فصاح "جانيمار" وهو يرتجف غيظا وحنقا :

- إنك لا تعرف هذه الآنسة ولا شان لك بها ، إنك قرات اسمها الآن على هذه اللوحة النحاسية المثبتة على الجدار .

فقال "باربيه" :

-ماذا تعنى ؟ اليس من حقي أن اتلقى دروسا في العزف على البيان؟

- تستطيع ان تتلقى ما شئت من الدروس في غير هذا المنزل .

- انا آسف جدا .. ولكني شغوف بدروس الآنسة "هافلين" .

- انني امنعك منعا باتا من ..

فلم يعبا به "باربيه" .. بل قطب حاجبيه . وشق طريقه إلى المنزل

ودخل بقدم ثابتة فشيعه "جانيمار" بنظرة قلق .. وراح يرقبه وهو يصعد السلم بدون أن يجسر على منعه .

ولا شك أن "باربيه" استطاع بسهولة أن يتفق مع الآنسة "هافلين" .. لأن جو المنزل ما لبث أن امتلأ بأنغام البيان .

غمغم "جانيمار" في غضب وقد تضاعف يأسه وخوفه على سنداته :

– قبحه الله .. ماذا نستطيع أن نفعل مع هذا الشيطان ؟ ثم استأنف العمل ففتش حجرة حارسة الباب وفتش سطح المنزل مرة أخرى .

وظلت أنغام البيان تنبعث من الطابق الثالث بغير انقطاع . كانت أنغاما مزعجة لا توافق بينها ، فضرب "جانيمار" الأرض بقدمه وغمغم في حنق :

– كيف يستطيع الإنسان العمل وسط هذه الضوضاء ؟

وحوالي الساعة السادسة ، صمت البيان وراى "جانيمار" غريمه "باربيه" وهو يحاول الانصراف وفي يده علبة من الورق المقوى .

علبة من الورق المقوى ؟ يا إلهي ! إن السندات في هذه العلبة بغير شك .

هجم عليه ، وانتزع العلبة من يده ، وفتحها ، لم يجد بها سوى بعض أوراق ممزقة .. وقبعات قديمة ، وقطعة من الفرو أكلها العث :

قال "باربيه" في هدوء :

– لما كانت الآنسة "هافلين" لا تستطيع مغادرة المنزل ، فإنها توسلت إلي أن أحمل هذه الأشياء لألقي بها في صندوق المهملات والقاذورات .

يا إلهي ! .. ما أجمل هذه الفتاة يا "جانيمار" .. وما أبرعها في العزف على البيان ! ..

إنها تعتقد أن استعدادي عظيم لتعلم العزف على البيان ، وقد أكدت لي أنني إذا واظبت على تلقي الدروس عندها فإنني أصبح في أقرب وقت أبرع من يستجدي بالعزف على البيان في الشوارع وعلى أبواب الكنائس .

وقضى "جانيمار" و"جاسير" طول الليل في حراسة المنزل . فرابط أحدهما في الخارج ورابط الثاني في الداخل ، لتفتيش من يريد الخروج وخوفا من أن يلقي السارق بحزمة السندات من إحدى

النوافذ لشريك له في الشارع .

وفي صباح اليوم التالي ، استانف الرجلان العمل . ولكن بغير جدوى ..

وحوالي الساعة الثالثة .. اقبل "باربيه" حاملا في يده علبة الورق التي افرغ محتوياتها في اليوم السابق .

وقع بصره على "جانيمار" فحياه بابتسامة وصعد السلم مسرعا .

وما هي إلاّ لحظة حتى بدا درس البيان . وامتلأ جو المنزل بالانغام المزعجة.

ثم ساد السكون فجاة واستمر طويلا . فاثار ذلك ريبة "جانيمار" واهتمامه .

قال لنفسه :

– ترى ماذا يفعل هذا الشيطان الآن ؟ لا شك انه يبحث عن سنداتي .

صعد السلم مسرعا .. والصق اذنه بباب الطابق الثالث واصغى باهتمام .

لم يسمع اية حركة في شقة معلمة العزف على البيان ، ولكنه سمع صوتا خشنا منبعثا من شقة الفتاة التي تشتغل بالكتابة على الآلة الكاتبة .. قال لنفسه :

– هذا صوته .

واستولى عليه فضول شديد لم يطق معه صبرا ، فطرق الباب . واجابه صوت "باربيه" من الداخل :

– ادخل .. فالباب مفتوح .

فدخل "جانيمار" .. وراى الانسة "ليجوفييه" – وهي فتاة سمراء على جانب عظيم من الجمال – جالسة أمام الآلة الكاتبة .. و"باربيه" يملي عليها كلاما . ساله "باربيه" :

– هل جئت تتجسس علينا ؟ لا تتعب نفسك .. فالانسة ليس عندها ما تخفيه.. وأنا كذلك .. إنني املي عليها مذكراتي .

ثم التفت إلى الفتاة وراح يملي عليها :

"وفي ذلك اليوم .. فاجاني المفتش "جانيمار" في غرفة الانسة "ليجوفييه" الحسناء ، التي عرفتها عن طريق معلمة البيان ، فشرع

يجيل الطرف في أنحاء الغرفة باحثا عن السندات المفقودة ، ولكنه لم يجد سوى حذاء قديم تحت أحد المقاعد فيا إلهي ، ما أشق مهنة رجال الشرطة ! " .

فنظر إليه "جانيمار" شزرا ، وتركه وانصرف ، واستأنف "باربيه" إملاء مذكراته.

وبعد قليل ، هبط "باربيه" السلم ، متأبطا تلك العلبة المصنوعة من الورق ..

وراه "جانيمار" .. ووقف مترددا .

ترى ماذا يحمل الشقي في هذه العلبة ؟

واشتد به الخوف فجأة. فاقترب من "باربيه" وتناول العلبة وفتحها، ولكنه لم يجد سوى قصاصات من القماش وبعض جرائد قديمة .

وهكذا أصبحت حياة "جانيمار" لا تطاق .

كان منظر "باربيه" وهو يدخل ويخرج يثير غضبه وحنقه .. وكانت علبة الورق التي لا تفارق "باربيه" كلما دخل أو خرج تثير ريبته وشكوكه ..

ولكنه لم يشأ أن يترك شيئا للظروف والمصادفات . فراح يفتش العلبة كلما رآها خوفا من أن يستخدمها "باربيه" في تهريب السندات.

وفي كل مرة كان "باربيه" يقهقه حتى يستلقي على قفاه .

وكأنما أراد أن يزيد حنق مفتش الشرطة وغيظه وحيرته . فكان يقول له :

– إن السندات هنا . فتش عنها . تجدها .

واستمرت هذه الحالة أسبوعاً .. هو كل الإجازة التي حصل عليها "جانيمار". وقد قضى "جانيمار" هذا الأسبوع في نضال عقيم .. حتى صار موضع سخرية القوم في الحي كله .

ولم يعد في استطاعته هو ومسيو "جاسير" أن يمنعا سكان المنزل من الذهاب إلى أعمالهم .. وكل ما هنالك أن السكان سمحوا لهما بتفتيشهم كلما خرجوا .

وشاع أمر الكارثة التي نزلت بمسيو "جاسير" .. فأقبل عليه عملاؤه يطالبونه بأموالهم وودائعهم .. وازدحموا حوله في مكتبه ..

واصبحت الحالة في المنزل لا تطاق .

برم النائب "توفمون" بهذه المضايقات فنصح مسيو "جاسير" بإبلاغ الأمر إلى الشرطة .

وتحرج الموقف واصبح لا يطاق .

وفجاة .. حدث امر عجل بالنتيجة .. فقد سمع "جانيمار" و"جاسير" بعد ظهر احد الأيام ضجة شديدة في الطابق الثالث ووصلت إلى آذانهما صيحات نساء وسب وصخب . فصعدا إلى ذلك الطابق على عجل .. وهناك وجدا الفتاتين "هافلين" و"ليجوفييه" وقد اخذت كل منهما بخناق الأخرى وراحتا تتضاربان وتتشاجران .. و"جان باربيه" بينهما يحاول ان يفصل بينهما ويضع حدا للمعركة.

وقد نجح "باربيه" اخيرا في التفريق بينهما .. ولكن بعد ان تمزقت ثيابهما وانكشف صدراهما .

واستولت على الآنسة "ليجوفييه" نوبة عصبية . فحملها "باربيه" إلى شقتها وبقيت "هافلين" وحدها أمام الباب . فراحت تنفث غضبها وصاحت :

– إنني فاجاتهما معا .. فاجات "باربيه" وهو يقبلها .. لقد سرقته مني لأنه غازلني أولا .. وانا التي قدمته إليها .. وعرفته بها ..

إنه مخلوق عجيب غامض .. فسله يا مسيو "جانيمار" ماذا كان يعمل هنا طيلة الأسبوع الماضي ؟ .. ولماذا يستجوبنا . ؟ ويفتش هنا وهناك .. نعم إنه يعرف سارق السندات .. وقد قال لي بلهجة التاكيد إن حارسة الباب هي التي سرقت السندات .. وطلب إلي الا اذكر ذلك لكائن من كان .

هذا الرجل يعرف كل شيء .. ويعرف موضع السندات المسروقة .. وقد قال لي مرة : إن السندات في المنزل وليست فيه" فاحذر هذا الرجل يا مسيو "جانيمار" .. إنه .....

وفي هذه اللحظة .. اقبل "باربيه" فامسك بساعد "هافلين" ... ودفعها إلى شقتها وهو يقول :

– تعالي يا "معلمتي" . لا تتكلمي فيما لا علم لك به .. إنك لا تجيدين شيئا غير العزف على البيان .. اما ما عدا ذلك فإنك تتخبطين .

ولم ينتظر "جانيمار" أكثر من ذلك .. فقد أضاءت كلمات "هافلين" السبيل امامه .

نعم .. لم يكن ثمة شك في أن حارسة الباب هي التي سرقت السندات فكيف لم يخطر له ذلك ببال ؟

استولى عليه الحنق .. فهبط السلم مسرعا .. ومسيو "جاسير" في اثره .

وقد وجدا حارسة الباب في حجرتها.. فصرخ "جانيمار" في وجهها:

– اين سنداتي ؟ اين أموالي ؟ إنك التي سرقت السندات . وصاح "جاسير":

– ماذا فعلت بالسندات ايتها اللصة ؟

احاطا بالمرأة .. وامسكا بساعديها .. وراحا يمطرانها وابلا من الأسئلة والشتائم .. والمرأة التعسة ترتجف بين ايديهما ولا تجد ما تقوله .

وهكذا مرت بحارسة الباب ليلة مخيفة .. اعقبها يومان حافلان بالمتاعب والأسئلة والسب والصخب ، ولم يتطرق قط إلى ذهن "جانيمار" ان "باربيه" اخطا في اتهام المرأة التعسة ، خصوصا انه وجد أن هذا الاتهام يفسر كثيرا مما غمض عليه .

والواقع ، ان حارسة الباب هي المخلوقة الوحيدة التي كان في استطاعتها ان ترى حزمة السندات فوق المنضدة ، وهي كذلك المخلوقة الوحيدة التي تحتفظ في حجرتها بمفاتيح مزدوجة للطابق الذي يقيم به مسيو "جاسير" فمن البديهي إذن وهي التي تعرف عادات مسيو "جاسير" وطباعه كما لا يعرفها سواها أن تكون قد انتهزت فرصة وجوده في مكتبه ففتحت الباب الخارجي لغرفة نومه ، وحملت رزمة السندات وانطلقت بها إلى حجرتها حيث وجدها مسيو "جاسير" هناك فيما بعد .

قال "جانيمار" في يأس:

– لا شك في أن هذه التعسة هي سارقة السندات ، ولكن سواء أكانت هي السارقة أم كان سواها فالمهم أن نجد السندات .

أنا أقرر انها حملت السندات إلى حجرتها ، ولكن باية معجزة

استطاعت أن تخفي السندات خلال المدة بين الساعة التاسعة صباحا
- أي موعد السرقة - والساعة الواحدة وهو الوقت الذي فتشنا فيه حجرتها ؟

هذه هي المعضلة الحقيقية .

وعبثا حاول "جانيمار" ان يحمل المرأة على الكلام .

سألها في رفق .. وهددها وتوعدها .. ولكن بغير جدوى ... لانها اصرت على الإنكار التام .. فهي لم تر شيئا .. ولا تعلم شيئا .

وفي صباح احد الأيام قال مسيو "جاسير" محدثا "جانيمار" :

- يجب أن نصل إلى نتيجة مهما كلفنا ذلك ولعلك قرات في الصحف أن النائب "توفمون" استطاع بالأمس ان يسقط الوزارة .. وسوف يزدحم المنزل اليوم بالصحفيين الذين يريدون مقابلته .. والتحدث إليه وليس في استطاعتنا كما تعلم ان نفتش رجال الصحافة كما تعودنا تفتيش سكان المنزل .

وهنا اعترف "جانيمار" بان الموقف أصبح لا يحتمل . وقال محدثا مسيو "جاسير" بلهجة التاكيد :

- ساعرف الحقيقة كلها بعد ساعة .

وبعد ساعة .. كان "جانيمار" يطرق باب مكتب "جان باربيه" . قال له المحامي وعلى شفتيه ابتسامة المشفق :

- كنت انتظرك يا "جانيمار" فماذا تريد ؟

- أريد مساعدتك .. فقد عجزت عن حل هذا اللغز الذي ضاعت فيه اموالي.. كان مفتش الشرطة صريحا .. فاثرت صراحته في نفس المحامي واعتبر هذا الاعتراف خير ترضية عن الإهانة التي لحقته من "جانيمار" .

نهض "باربيه" واقفا .. ووضع يده بلطف على كتف "جانيمار" ..ولم ينظر إلى وجهه لكيلا يشعره بمذلة العجز والهزيمة .

كانت المقابلة بينهما مقابلة زميلين تصافحا.. لا مقابلة بين منتصر ومنهزم .. قال "باربيه"

- الواقع يا عزيزي "جانيمار" ان سوء التفاهم بيننا يؤلمني اشد الألم .. فنحن رجلان يجب ان يتزاملا .. ويتعاونا بدلا من أن يناصب كل

منهما الآخر العداء ..

فاطرق "جانيمار" راسه ..

كان ضميره يؤنبه على انه صادق "باربيه" .. وعلى ان الاقدار ارغمته على زمالة هذا الرجل الذي يرتاب فيه بالغريزة ويرتاب في وسائله ومراميه . بيد ان هناك ظروفا وعوامل تبيح للشرفاء ان يصموا آذانهم عن سماع صوت الضمير.. ومن هذه العوامل ان يفقد الإنسان كل ما ادخره في الحياة ..ثم لا يجد بدا لاسترداد امواله المفقودة من ان يضع يده في يد شخص مريب مشكوك في ذمته .

اصم "جانيمار" اذنيه عن صوت ضميره . وغمغم قائلا :

– إن حارسة الباب هي التي سرقت السندات . اليس كذلك ؟

فاجاب "باربيه" :

– بلى .. إنها هي .. لسبب واحد .. هو انه لم يكن في مقدور احد سواها ان يسرقَ السندات .

– ولكن كيف لهذه المراة التي اشتهرت بالامانة ان تقدم على مثل هذه الفعلة ؟

– لو انك كلفت نفسك مئونة البحث والتغلغل في اسرار حياتها لعلمت ان لهذه المراة التعسة ولدا مسرفا متلافا يجردها من كل اموالها . ويرهقها بمطالبه . وقد انحدرت المسكينة إلى هوة الجريمة واصغت إلى إغراء الشيطان لإرضاء ولدها .

فسال "جانيمار" وهو يرتعد :

– وإذن فقد اخذ ابنها سنداتي . وبعثر ثمنها ؟

– لا .. لا .. ما كان لي قط أن اسمح بذلك .. إن سنداتك شيء مقدس يا "جانيمار" .

– اين هي إذن ؟

– في جيبك .

– كفى هذرا يا "باربيه" .

– إنني لا اهزل في موطن الجد يا "جانيمار" .. ابحث في جيبك تجد سنداتك .

واشار إلى احد جيوب "جانيمار" ، فدس هذا يده في جيبه بشيء من

الخجل . واخرج منه غلافا قرا عليه هذه الكلمات : إلى صديقي "جانيمار" .

وفض "جانيمار" الغلاف بإصبع ترتجف ..

كان واثقا بان "باربيه" دس الغلاف في جيبه عقب دخوله مباشرة . ولكن ترى ماذا يتضمن هذا الغلاف ؟

اخرج منه طائفة من الأوراق عرف فيها سنداته المفقودة فاغرورقت عيناه بالدموع واستحال "باربيه" في نظره فجاة إلى قديس .

اخذ يثب في الغرفة كالمجانين .. ويرقص ويغني ويهتف :

- سنداتي . إنك رجل عظيم يا "باربيه" لا يوجد في العالم سوى "باربيه" واحد هو "جان باربيه" الذي انقذ اموال "جانيمار" ... إنك تستحق أن يقام لك تمثال يا "باربيه" . انت بطل . ولكن حدثني كيف نجحت ؟ . كيف استطعت استردادها ؟

اطمان "جانيمار" على سنداته . وثار في نفسه فضول المهنة .. اراد أن يعرف كيف نجح "باربيه" حيث فشل هو ؟.

قال :

- تكلم يا "باربيه" . ماذا فعلت ؟

- فعلت ماذا ؟

- أعني كيف وجدت حزمة السندات ؟ واين وجدتها ؟

فاجاب "باربيه" مداعبا :

- إنها كانت في المنزل . ولم تكن فيه .

فهتف "جانيمار" بلهجة التوسل :

- تكلم بالله ماذا فعلت ؟

- هل تعترف بعجزك ؟

- نعم .

- وهل تعدني بالا تنظر إلي بعد الآن تلك النظرات المريبة التي تجعلني أعتقد في بعض الأحيان انني ضللت عن سواء السبيل ؟

- تكلم يا "باربيه" تكلم . فهتف "باربيه" :

- يا لها من قصة طريفة ! اؤكد لك يا عزيزي "جانيمار" انها ستثير دهشتك وعجبك . إنني لم اسرد في حياتي قصة اعجب منها . على ان

اللغز فيها بسيط غاية البساطة . وإني لأعجب كيف لم تهتد إلى معرفته وانت ذلك الشرطي البارع ذو الماضي المجيد ؟

فصاح "جانيمار" في ضجر :

– واخيرا .. الا تريد ان تتكلم ؟ كيف خرجت حزمة السندات من المنزل ؟

– إنها خرجت تحت انفك وبصرك يا عزيزي "جانيمار" .. ولم تخرج منه فقط بل عادت إليه كذلك . كانت تخرج من المنزل وتعود إليه مرتين على الاقل كل يوم.. وقد قضيت عشرة ايام وانت تحني امامها قامتك باحترام كلما خرجت أو دخلت . فصاح "جانيمار" :

– هذا غير معقول .. لقد فتشت كل إنسان خرج من المنزل .

– نعم يا عزيزي "جانيمار" .. إنك فتشت كل إنسان وفتشت كل علبة وكل حزمة .. وكل صندوق اخرج من المنزل ... ولكنك لم تفتش المكان الوحيد الذي كانت توجد به السندات .

إن موظفي الجمارك على الحدود يفتشون جميع المسافرين ... ويفحصون جميع الأمتعة .. ولكنهم لا يفتشون حقائب رجال السلك السياسي .. وذلك ما فعلته انت .. فإنك فتشت كل شيء إلا الشيء الذي وضعت به السندات .

فهتف "جانيمار" في ضجر :

– إنني لا افهمك . عن اي شيء تتكلم ؟

– عن حافظة اوراق حضرة الوزير السابق .. والنائب المحترم مسيو "توفمون".

فصاح "جانيمار" وهو يقفز من مقعده :

– ماذا تقول يا "باربيه" ؟ هل تتهم النائب "توفمون" ؟

– انت مجنون يا "جانيمار" . هل تعتقد انني استبيح لنفسي اتهام نائب محترم ؟

يجب ان تتذكر قبل كل شيء أن القانون يضع حضرات النواب المحترمين فوق كل اتهام وكل شبهة . على انه إذا كان هناك بين النواب والوزراء السابقين رجل جدير بالا ترتفع إليه الشبهات والريب فهذا الرجل هو مسيو "توفمون" .

- هل تعتقد إذن انه كان شريكا ؟
- لا ..
- من تتهم إذن ؟
- من اتهم ؟
- نعم ..
- إنني اتهم حافظة أوراق النائب "توفمون" .
وابتسم وصمت لحظة ثم استطرد :
- إن حافظة أوراق وزير سابق ونائب حالي هي في ذاتها شخصية مهمة

يا "جانيمار" . فامامنا الآن مسيو "توفمون" وامامنا حافظة أوراقه والاثنان كل لا يتجزا . وليس في الاستطاعة أن تتصور مسيو "توفمون" بلا حافظة اوراقه او تتصور حافظة الأوراق بلا مسيو "توفمون" .. ذلك لأن احدا منهما لا يفترق عن الاخر و يحدث في بعض الأحيان فقط أن يضع مسيو "توفمون" حافظة اوراقه جانبا لكي يتناول طعامه مثلا أو لكي ينام .. وفي هذه الحالة تصبح حافظة أوراق مسيو "توفمون" شخصية مستقلة يوسوس لها الشيطان في بعض الأحيان فتقدم على اعمال لا يمكن أن يعتبر مسيو "توفمون" مسؤولاً عنها .. وذلك بعينه ما حدث يوم سرقت حزمة السندات ..
وهنا نظر "جانيمار" إلى "باربيه" في دهشة . وسأل نفسه : ترى ماذا يريد أن يقول ؟ وإلى اي غرض يرمي ؟
استطرد "باربيه" :
- نعم .. هذا ما حدث يوم سرقت حزمة السندات وضاعت اموالك .
بعد أن استولت حارسة الباب على السندات ازعجتها جريمتها وراعها الخطر الذي يتهددها . وبينما هي تفكر في طريقة للتخلص من الغنيمة التي توشك أن تجر عليها الدمار وسوء السمعة ، إذا بها ترى فجاة حافظة أوراق مسيو "توفمون" موضوعة على نافذة حجرتها .
وكان مسيو "توفمون" قد دخل حجرتها لياخذ رسائله فوضع حافظة أوراقه على النافذة وراح يفض اغلفة الرسائل . وفي هذه اللحظة لحقت به انت ومسيو "جاسير" وشرعتما تسردان عليه تفاصيل حادث

السرقة .

وبينما كان الرجل يصغي إليكما في صبر واناة ، تفتق ذهن حارسة الباب عن فكرة فذة .

كانت قد وضعت حزمة السندات على قاعدة النافذة واخفتها تحت طائفة من الجرائد القديمة ، ولم يكن احد قد فتش حجرتها بعد . ولكنها كانت واثقة بان الحجرة ستفتش عاجلا او آجلا فاقتربت من النافذة بدون ان يشعر بها احدكم واخرجت حزمة السندات من مخبئها ودستها في حافظة اوراق النائب "توفمون".

وهكذا انصرف النائب من حجرة حارسة الباب متابطا سنداتك وسندات مسيو "جاسير" .

اصغى "جانيمار" إلى هذا الإيضاح ، بدون ان ينطق بكلمة اعتراض.

كان يعلم ان "باربيه" إذا تكلم بلهجة التاكيد وجب تصديقه .

قال :

ولكن .. الم يلاحظ مسيو "توفمون" وجود حزمة السندات في حافظة اوراقه ؟

– نعم لم يلاحظ ..

– كيف ذلك ؟ إنه متى فتح الحافظة ..

– ولكنه لم يفتح الحافظة ولا يفتحها ابدا . إن حافظة اوراق مسيو "توفمون" كغالبية حوافظ رجال السياسة ليست في الواقع إلا خدعة ومظهرا من مظاهر التهديد ، فلو انه فتحها ، إذن لوجد بها السندات .

– ولكن لابد له في اثناء العمل من ان يفتح الحافظة .

– إنه لا يعمل ولا يفتح الحافظة ، ووجود الحافظة ليس شرطا للعمل ، واكثر الساسة يقنعون بحافظة الاوراق بدون العمل ، ذلك لأن الحافظة في ذاتها تمثل العمل ، وتمثل القوة ، والنفوذ .

عندما صعد مسيو "توفمون" إلى منبر الخطابة امس – وقد كنت موجودا آنئذ في مجلس النواب – حمل معه حافظة اوراقه فارتجف الوزراء ، وقالوا لانفسهم: "إن حافظته مكدسة بالاوراق ، مليئة بالأرقام والإحصائيات" .

وقد بسط مسيو "توفمون" الحافظة امامه ، ولكنه لم يتناول منها

شيئا .

ثم راح يتكلم ، ويضرب بيده بين الفينة والفينة على حافظة أوراقه ، كمن يقول : "الوثائق هنا ، وهنا الأدلة على صحة ما أقول" في حين لم يكن بالحافظة سوى سندات "جانيمار" ، وسندات "جاسير" وطائفة من الصحف القديمة .

تكلم إذن مسيو "توفمون" ، وراح يؤيد كلامه بالضرب على حافظة أوراقه ، وكان في ذلك الكفاية .

وهكذا أسقطت حافظة مسيو "توفمون" الوزارة ..

– ولكن كيف علمت كل ذلك ؟

– علمت ذلك عقب انصراف مسيو "توفمون" من مجلس النواب بعد أن قرر المجلس بأغلبية الأصوات عدم الثقة بالوزارة ... فقد قصد مسيو "توفمون" إلى منزله سيرا على القدمين ، وبينما هو في طريقه إذا براكب دراجة يصطدم به وإذا بالنائب المحترم يسقط على الأرض.. وإذا بحافظته الخطيرة تطير من يده..

وفي هذه اللحظة .. خرج من أحد الأزقة شريك لصاحب الدراجة .. فتظاهر بمساعدة النائب المحترم .. وانتهز الفرصة وأخذ حزمة السندات من الحافظة .. ووضع مكانها حزمة من قصاصات الورق .

ولست بحاجة لأن أذكر لك اسم هذا الشريك . وهنا أغرق "جانيمار" في الضحك .

لم يسعه – بعد أن اطمأن على سنداته – إلا أن يرى الجانب المضحك من المأساة ، وإلا أن يضحك ملء فمه .

استطرد "باربيه" قائلا :

– هو ذا كل السر أيها الصديق العزيز .. ولكي أقف على كل هذه الحقائق .. رأيت لزاما علي أن أدخل المنزل ، وأن أملي مذكراتي ، وأتلقى دروسا في العزف على البيان . ولا أكتمك أنني وجدت في هذا الحادث من المتع ما لا أجده في سواه .. فقد استمتعت في الطابق الثالث بمغازلة فتاتين لا تقع العين على أجمل منهما ، واستمتعت في الطابق الثاني بمنظر مسيو "توفمون" ، وهو يروح ويغدو كالمغفل والسندات تحت إبطه ، ثم استمتعت بمرأى العزيز "جانيمار" ،

وصديقه "جاسير" وهما يحرقان الأرم غيظا .

على ان موقف حارسة الباب هو بغير شك من اعجب المواقف . فهي ترى الآن في مسيو "توفمون" محتالا من احط المحتالين ، وتعتقد انه وجد السندات في حافظة اوراقه فاستولى عليها ولزم جانب الصمت .

فساله "جانيمار" :

- هل يجب أن اخطره ؟

- ولماذا ؟ دع الرجل مرتاح البال يروح ويجيء وقصاصات الورق تحت إبطه، كلا يا "جانيمار" ، يجب الا تبوح لكائن من كان بكلمة واحدة مما ذكرت لك .

- ما عدا مسيو "جاسير" .. إذ يجب أن نخطره بما حدث ونرد إليه سنداته .

- اي سندات ؟

-سنداته التي سرقت منه ووجدتها انت في حافظة مسيو "توفمون".

- آه .. انت مخطئ يا عزيزي "جانيمار" .. إنك لا ترى الأشياء على وجهها الصحيح ، هل تعتقد انني سارد إليه شيئا ؟

- بالتاكيد .. سنداته ..

فضرب "باربيه" المكتب بيده وقال بحدة :

- هل تعرف من هو "بيير جاسير" يا "جانيمار" ؟ إنه شقي اثيم لا يفترق في شيء عن ابن حارسة الباب . إنه لص محتال عرف كيف يسرق عملاءه وكيف يعبث باموالهم . وادهى من ذلك انه كان يتاهب للفرار باموال عملائه وودائعهم . خذ وانظر . ها هي ذي تذكرة سفر إلى "بروكسل" بتاريخ اليوم الذي سحب فيه السندات من البنك لا ليودعها ببنك "فرنسا" كما زعم .. ولكن ليفر بها .. فما قولك في ذلك يا "جانيمار"؟

فصمت "جانيمار" ..

كانت ثقته بـ"جاسير" قد تزعزعت عقب سرقة سنداته بيد انه قال :

- ولكن للرجل عملاء امناء ليس من الإنصاف حرمانهم من أموالهم والانحدار بهم إلى هوة الخراب والإفلاس .

- إنهم لن ينحدروا إلى هوة الخراب والإفلاس . لا .. انا لا ارضى

لهم مثل هذا الغبن .

– إذن ؟

– إن "جاسير" رجل غني .

– بل إنه اصبح لا يملك سنتيما واحدا .

– انت مخطئ يا عزيزي "جانيمار" . فقد دلتني ابحاثي والمعلومات التي استقيتها من مصادر موثوق بها على ان الرجل غني وفي استطاعته ان يرد إلى عملائه اموالهم .

وبهذه المناسبة يجب أن تعلم انه إذا لم يكن قد ابلغ الشرطة بالحادث منذ البداية فليس ذلك إلا لأنه يخشى ان يضع رجال القانون إصبعهم في اعماله . فتظهر لهم فضائحه .. لا يا عزيزي "جانيمار" . إن "بيير جاسير" يملك مالا وفيرا . إنه مليونير فيجب عليه إذن أن يكفّر عن اخطائه ..

– هل افهم من ذلك ان في نيتك الاحتفاظ بـ ..

– الاحتفاظ بالسندات ؟ . لا . ابدا . إنها بيعت بالفعل .

– بالتاكيد .. ولكن هل تنوي الاحتفاظ بثمنها ؟

فنظر إليه "باربيه" باشمئزاز وتبرم وأجاب :

– لا .. إنني لن أحتفظ بها دقيقة واحدة .

– ماذا ستفعل بها إذن ؟

– ساوزعها ..

– توزعها ؟

– نعم .. ساوزعها على المعوزين وعلى الجمعيات الخيرية فاطمئن يا عزيزي "جانيمار" . اطمئن وثق بإنني سانفق نقود "جاسير" في خير وجوه الإنفاق .

فهز "جانيمار" راسه بارتياب .

لاحظ أن هذا الحادث قد انتهى كغيره من الحوادث ، وان "باربيه" قد عاقب المذنب ، وإنقذ البريء ، ولكنه لم ينس نفسه ، واحمر وجهه ..

وجد أن السكوت في هذا الموقف معناه التستر على الجريمة ولكنه من ناحية اخرى احس بالسندات في جيبه وشعر بما لـ"باربيه" من فضل في إعادتها إليه.

ساله "باربيه" :

- ماذا بك ؟ هل انت غاضب ؟

- لا .. لا .. لست غاضبا .

- إذن فابتسم .

فلم يسع "جانيمار" إلا الابتسام .

قال "باربيه" وهو يمد إليه يده :

- يسرني انني استطعت ان اؤدي لك إحدى الخدمات والآن إلى اللقاء ايها الصديق ، ومعذرة ، لقد اضعت الكثير من وقتك الثمين ، ثم إنني على موعد هنا مع إحدى السيدات ..

فقال "جانيمار" وهو يقصد إلى الباب :

- إلى اللقاء إذن ..

وانصرف "جانيمار" ، وهو مثقل الجيب والضمير .

وما كاد يصل إلى الباب ، حتى صادف فتاة سمراء عرف فيها في الحال الآنسة "ليجوفييه" الحسناء .

كانت هي بغير شك "السيدة" التي ينتظرها "باربيه" .

وبعد يومين .. وقع بصر "جانيمار" على "باربيه" وهو يدخل دارا للسينما وبرفقته "هافلين" الحسناء .

- ٤ -

اللؤلؤة السوداء

دوى طرق عنيف على باب المنزل رقم ٩ بشارع "هوش" . فاستيقظت حارسة الباب وقالت في ضجر وتبرم :

- اعتقد ان جميع سكان المنزل قد عادوا من الخارج .. ترى من الطارق ؟ إن الساعة الآن الثالثة صباحا على الأقل .

فاجاب زوجها :

- ربما كان بعضهم يريد مقابلة الطبيب .

وقد صدق حدس الرجل لأن زوجته ما كادت تفتح الباب حتى سالها الطارق :

- في اي طابق يقيم الدكتور "هاريل" ؟

فاجابت حارسة الباب :

- إنه يقيم في الشقة اليسرى بالطابق الثالث . ولكنه لا يقابل احدا في اثناء الليل . ولا يبرح منزله ابدا في مثل هذه الساعة .

فقال القادم :

- ولكن يجب في هذه الليلة ان يزعج نفسه قليلا .

قال ذلك ودخل المنزل . وراح يصعد السلم مسرعا .

مر بالطابق الأول والثاني . وبلغ الطابق الثالث حيث يقيم الدكتور "هاريل".

ولكنه لم يتريث ، بل استانف صعود السلم حتى وصل إلى الطابق الخامس، وهناك وقف امام احد الابواب . واخرج من جيبه مفتاحين راح يعالج بهما الباب حتى تمكن من فتحه .. وقال لنفسه :

- هذا بديع .. لقد اصبحت المهمة ميسورة . ولكن يجب ان نطمئن اولا على طريقة الخروج . ترى هل المدة التي انقضت حتى الآن كان فيها الكفاية لأن أطرق باب الطبيب واطلب مقابلته فيرفض ان يقابلني؟ لا ، لايزال امامي متسع من الوقت .

وبعد عشر دقائق هبط صاحبنا السلم .. وقصد إلى الباب الخارجي،

ومر بحجرة حارسة الباب وجعل يسب الطبيب ويشتمه زاعما أنه رفض مقابلته .

ثم فتح الباب الخارجي وباسرع من لمح البصر دس في قفل الباب قطعة من الحديد .

خرج بعد ذلك واغلق الباب وراءه بشدة فاحدث الباب ضجة ، ولكنه لم يغلق نظرا لوجود قطعة الحديد في القفل وتريث الرجل في الخارج لحظة .. ثم عاد ادراجه ففتح الباب في هدوء . ودخل بدون أن يحدث أية جلبة .. واجتاز فناء الدار بدون أن تراه حارسة الباب .

وهكذا اطمأن إلى سهولة الفرار من الباب الخارجي فيما لو فاجاه مفاجئ .

صعد الرجل السلم مرة أخرى حتى بلغ الطابق الخامس ... فتسلل من الباب الذي كان قد نجح في فتحه ثم اخرج من جيبه مصباحا كهربائيا صغيرا واضاءه ورأى على ضوئه انه في دهليز صغير . فخلع قبعته ومعطفه ووضعهما على احد المقاعد وجلس على مقعد آخر واحاط حذاءه بغطاء من الصوف لكيلا يسمع لوقع قدميه صوت.. ولما فرغ من ذلك تنفس الصعداء وقال : حمدا لله .. أعتقد أن كل شيء سينتهي على ما يرام في هذه المغامرة الموفقة .

إنني أتساءل في الحق لماذا لا يحترف جميع الناس مهنة اللصوصية ؟ إنها مهنة بسيطة ومريحة .. ولا تتطلب أكثر من بعض الخفة واللباقة وسرعة الخاطر.

إنها مهنة الشخص الذي يريد الراحة والرفاهية .

قال ذلك ثم بسط أمامه ورقة عليها رسم تخطيطي للشقة واستطرد : لنبدأ الآن بتطبيق هذا الرسم على الواقع . ها هو ذا المستطيل الذي يمثل الدهليز الذي أنا به الآن . وها هي ذي قاعة الاستقبال وغرفة النوم وقاعة الطعام .. كلها تطل على الشارع . فمن العبث إذن إضاعة الوقت في هذه الناحية .

والواقع أن ترتيب الغرف لا يدل على أن الكونتس تمتاز بذوق سليم. وأخيرا .. ها هو ذا الدهليز الذي يوصل إلى غرفة الثياب وهي الغرفة التي يفصلها عن مخدع الكونتس باب صغير ، وباب هذه

الغرفة لا يبعد عن هنا سوى مسافة ثلاثة امتار ، كل هذا حسن ، لقد فهمنا الآن اين نحن وماذا يجب ان نفعل .

قال ذلك وطوى الورقة ووضعها في جيبه ثم سار في الدهليز وهو يحصي المسافة : متر . متران . ثلاثة امتار . ها هو ذا باب غرفة الملابس .. يا إلهي كم انا موفق الليلة لو علم "جانيمار" بكل هذا لاعترف بانني رجل موفق على طول الخط . هانذا امام باب ليس ايسر من فتحه . نعم إن نصفه الأسفل مصنوع من الزجاج وفي الاستطاعة إزالة هذا الزجاج ودخول الغرفة بدون أن نضطر إلى فتح الباب .

قال ذلك واخرج من جيبه الأدوات الضرورية لرفع قطعة الزجاج التي تغطي النصف الأسفل من البا ب .

ولكن خطر له فجاة خاطر فقال لنفسه .

- ولكن إذا افترضنا ان الكونتس نسيت ان تغلق هذا الباب افلا يوفر علينا ذلك مهمة إزالة الزجاج . وهي عملية لا تخلو من الخطر فيما إذا سقط لوح الزجاج داخل الغرفة وتحطم ؟

قال ذلك وعالج مقبض الباب ففتح في الحال .

قال لنفسه : يا عزيزي "لوبين" إن الحظ يحالفك ويتامر معك . ويضع امامك جميع التسهيلات ماذا ينقصك الآن ؟ إنك تعرف موقع كل ركن وكل قطعة من الاثاث في هذه الشقة وتعرف المكان الذي تخبئ فيه الكونتس "اللؤلؤة السوداء"، ولكن لكي يتسنى لك الاستيلاء على هذه اللؤلؤة يتعين عليك أن تكون أهدأ من الهدوء واخفى من الخفاء .

وقضى "ارسين لوبين" نصف الساعة تقريبا في معالجة الباب الموصل بين غرفة الملابس ومخدع الكونتس . واستطاع أخيرا ان يفتحه بدون أن يحدث اية جلبة من شانها ان تزعج الكونتس حتى ولو لم تكن نائمة .

كان يعلم من الرسم الذي بجيبه انه لم يبق عليه إلا ان يسير لصق مقعد كبير ينتهي به إلى مقعد آخر صغير .. ثم إلى منضدة صغيرة قريبة من الفراش . وهناك على المنضدة يوجد صندوق ورق الرسائل وقد وضعت الكونتس بداخله تلك اللؤلؤة السوداء الثمينة .

تمدد "لوبين" على الأرض .. وراح يزحف لصق المقعد الكبير ولكنه لم

يكد يصل إلى طرفه الاخير حتى كف عن الحركة وهو لاهث الأنفاس خافق القلب .

نعم .. وثب قلبه بين ضلوعه فجاة فاستحال عليه ان يتغلب على الاضطراب الذي يستولي على الإنسان عادة وسط مثل هذا الظلام الحالك والسكون العميق.

وقد دهش "لوبين" لهذا الاضطراب الفجائي الذي لم يشعر قط بمثله وهو في مواقف اشد من هذا حرجا .

بيد انه لم يكن هناك اي خطر يتهدده فلماذا الاضطراب إذن ؟ ولماذا يخفق قلبه بمثل هذه الشدة حتى ليكاد يثب من حلقه ؟

ترى .. هل السبب في ذلك انه يشعر بوجود "الكونتس" بالقرب منه ؟

ارهف اذنيه وخيل إليه انه يسمع بالقرب منه تردد انفاس هادئة منتظمة، فاطمان كما يطمئن الإنسان إلى وجود صديق معه في الظلام.

بحث عن المقعد الصغير حتى وجده . ثم مد يده باحثا عن المنضدة فمست اصابعه إحدى قوائمها .

لم يبق عليه بعد ذلك إلا ان ينهض واقفا ويحمل اللؤلؤة السوداء ويلوذ بالفرار.

شعر بالارتياح حين خطرت له فكرة الفرار والخروج من تلك الغرفة الصامتة المظلمة . ذلك لأن قلبه كان قد بدا يخفق من جديد ويخفق بشدة حتى خيل إليه ان من المستحيل الا تسمع الكونتس نبضات قلبه فتستيقظ من نومها .

بذل جهود الجبابرة ليسيطر على شعوره واعصابه ولكنه ما كاد يهم بالوقوف حتى مست يده شيئا على الأرض تبين في الحال انه شمعدان ملقى هناك ، فبسط يده مرة اخرى ومست شيئا آخر تبين انه ساعة صغيرة . قال لنفسه :

– يا إلهي . ترى ماذا حدث ؟ ومن الذي القى بالشمعدان والساعة على الأرض ؟ ولماذا لم يوضع هذان الشيئان في مكانيهما الطبيعيين ؟

وفجاة افلتت من بين شفتيه صيحة ذعر ذلك لانه مس شيئا .. شيئا غريبا . مخيفا.. ولكن لا .. لابد ان ذهنه المضطرب بتاثير الخوف قد صور له هذا الشيء .

وانقضت عشرون ثانية .. وثلاثون وهو واقف في مكانه لا يتحرك وقد استولى عليه الذعر وتصبب العرق على جبينه .

كان يحس بان اصابعه لاتزال تمس ذلك الشيء المخيف الذي لمسته منذ لحظة والذي ادخل الذعر إلى قلبه .

ملك نفسه وسيطر على شعوره ومد يده مرة اخرى نحو ذلك الشيء.

مست اصابعه ذلك الشيء للمرة الثانية ومرت بجسده رعدة شديدة ولكنه لم يجذب يده بل صمم على أن يترك لاصابعه ان تتحقق نهائيا من ذلك الشيء .

مست أصابعه كتلة من الشعر الناعم الطويل ثم مست وجها .

كان الوجه باردا كالثلج .

لم يكن "أرسين لوبين" بالرجل الذي ترعبه الحقائق .

إنه ذعر اولا لانه كان في شك وارتياب ولانه لم يكن واثقا اما الآن وقد عرف الحقيقة رغم هولها فإنه سرعان ما استعاد ثباته ورباطة جاشه .

اخرج مصباحه الكهربائي من جيبه واضاءه وسلط اشعته على الجسم الذي لمسه .

راى امامه امراة غارقة في بحيرة من الدماء وقد اصيبت في عنقها وكتفيها وصدرها بجروح مخيفة فجثا بجانبها وفحصها فوجدها ميتة .

– غمغم قائلا : يا للشيطان ! .

وراح ينقل البصر بين ذلك الشعر المشعب والوجه المتقع والجسم المثخن بالجراح وبقع الدم السوداء التي تلطخ الارض .

أضاء مصباح الغرفة .. ونظر حوله .. فراى جميع الادلة على قيام نضال مخيف بين المراة وقاتلها او قاتلتها .

كان الفراش مضطربا .. واغطيته ملقاة على الأرض .

وراى الشمعدان والساعة .

ولاحظ أن عقربي الساعة يدلان على الساعة الحادية عشرة والدقيقة العشرين.

ثم راى مقعدا مقلوبا .. وبقع الدماء تلطخ الاثاث .

غمغم قائلا : واين اللؤلؤةالسوداء ؟
ورأى علبة الرسائل موضوعة على المنضدة .. ففتحها بسرعة .. ولكنه وجدها خالية .
هز رأسه وقال : هانتذا قد خسرت نفسك يا عزيزي "ارسين لوبين" .. كنت تفخر منذ لحظة بان الحظ يحالفك ويتآمر معك .. وبانك وفقت في مغامرة الليلة غاية التوفيق .
ها هي ذي "الكونتس" قد قتلت .. واللؤلؤة السوداء قد اختفت ... والموقف لا يدعو إلى الارتياح .
إن افضل ما تفعله الآن .. هو ان تلوذ بالفرار .. قبل ان توجه إليك تهمة انت بريء منها .. وتلقي على عاتقك مسؤوليات لاقبل لك باحتمالها ..
ولكنه مع ذلك لم يهرب .. بل بقي في مكانه .
قال يحدث نفسه :
- اهرب ؟ كلا .. ليس "ارسين لوبين" بالرجل الذي يزعجه منظر الجثث فيلوذ بالفرار .. إن على "لوبين" حيال مثل هذه الجريمة واجبات يتعين عليه ان يضطلع بها .. إن لم يكن بصفة "ارسين لوبين" .. فبصفته "جان باربيه" المحامي الفذ الذي يعمل لوجه الله .. ولوجه العدالة .. ولا يبتغي من عمله غير إحقاق الحق .
نعم .. لنفترض إن "ارسين لوبين" قد تلاشى الآن ، وحل محله "جان باربيه" فماذا يفعل ؟ وكيف يبدأ التحقيق .. ويميط اللثام عن السر ؟
ولكن لا .. إن تحقيق مثل هذه الجريمة يتطلب عقلا متزنا . وتفكيرا سليما ، وعقلي الآن ابعد ما يكون عن الاتزان والهدوء .
وتهالك على أحد المقاعد .. ودفن رأسه بين كفيه .
احدثت جريمة شارع "هوشي" ضجة كبيرة .. ليس لضياع اللؤلؤة السوداء فقط بل كذلك لشخصية "الكونتس دانديلو" التي ذهبت ضحية تلك الجريمة المخيفة .
والواقع .. ان "الكونتس دانديلو" كانت في وقت ما من اظهر الشخصيات في المجتمع الباريسي .. وفي الأوساط المسرحية ... إذ من ذا الذي لم يسمع باسم "ليونتين زالتي" المطربة المشهورة .. التي ختمت

حياتها على المسرح بالاقتران بالنبيل الفرنسي العتيد "الكونت دانديلو"؟

اشتهرت "الكونتس دانديلو" .. ليس فقط بمواهبها الفنية وبانها كانت في شبابها ابرع مغنيات المسرح .. بل اشتهرت كذلك بثروتها الطائلة من اللآلئ والماسات والأحجار الكريمة التي كانت تتزين بها . وقد جمعت "الكونتس" بعض هذه اللآلئ من المعجبين بها .. وهم كثيرون في كل بلد سمع أهله صوتها الفريد.. واهداها زوجها الكونت البعض الأخر من تلك اللآلئ .

وقد كان يقال عن هذه المرأة كلما ظهرت في إحدى الحفلات أو السهرات بلآلئها واحجارها الكريمة إنها تحمل حول صدرها ثروة يحسدها عليها اكثر البنوك وبعض الحكومات .

بيد أن اهل باريس جميعا مازالوا يذكرون الكارثة التي نزلت "بالكونتس" بعد موت زوجها .. فإنها تورطت في المضاربات تورطا خطرا ذهب بثروتها .. فبيعت لآلئها وكنزها الثمين من الماسات والأحجار الكريمة بالمزاد العلني .. ولم يبق لها من ذلك الكنز سوى اللؤلؤة السوداء الشهيرة .. وهي في ذاتها ثروة لا تقدر بثمن .

وقد كان في استطاعة "الكونتس" - إذا شاءت - أن تقضي بقية حياتها في رغد ورفاهة بثمن تلك اللؤلؤة الفريدة ولكنها رفضت أن تبيعها وأصرت على الرفض .. وآثرت أن تنتقل من قصرها الفخم إلى شقة متوسطة .. وان تسرح جميع خدمها - عدا ثلاثة - وان تعيش عيشة متواضعة .. على ان تفرط في تلك اللؤلؤة .

وقد قيل إن سبب إصرارها على الاحتفاظ بهذه اللؤلؤة هو ان اللؤلؤة اهديت إليها من أحد ملوك أوروبا فقررت الاحتفاظ بها إلى النهاية لتذكرها دائما بمجدها التليد .. ومواهبها التي احلها الملوك محلا رفيعا من تقديرهم .

كانت الكونتس تقول للمقربين إليها :

- لن ابيع هذه اللؤلؤة مادمت على قيد الحياة .

وكانت تزين صدرها بهذه اللؤلؤة من الصباح إلى المساء حتى إذا هبط الليل اخفتها في مكان لا يعرفه أحد سواها .

وقد أذاعت الصحف كل هذه الحقائق عن المطربة المشهورة ... فأثارت بذلك فضول الناس لمعرفة سر الجريمة .

ومن عجب أن شيئا لم يعقد الجريمة كما عقدها إلقاء القبض على الشخص الوحيد الذي حامت حوله شبهة ارتكابها .

نشرت الصحف في اليوم التالي للجريمة نبأ جاء فيه :

"علمنا أن المفتش "جانيمار" الذي أنيطت به مهمة تحقيق جريمة شارع "هوش" قد ألقى القبض على "فكتور داينجر" خادم "الكونتس دانديلو" وأن هناك من الأدلة الساحقة ما يثبت الجريمة ضد "داينجر".

"ولعل من أهم هذه الأدلة عثور المفتش "جانيمار" بالقرب من جثة الكونتس على زر ثبت أنه سقط من أحد ثياب المتهم .

"وينهب المحققون إلى أن "داينجر" لم يبرح شقة الكونتس في المساء وينطلق إلى مسكنه كالمعتاد .. بل اختبأ بعد العشاء في غرفة الملابس وراح يرقب سيدته حتى عرف المكان الذي خبأت به اللؤلؤة السوداء ثم تريث حتى أوت "الكونتس" إلى فراشها .. فتسلل إلى مخدعها ..

"ولكن المفهوم .. أنه لم يقم – حتى الآن – دليل على صحة هذه النظرية التي يوجد من الملابسات ما يضعفها ويثير الشكوك حولها".

"من ذلك أن بعض جيران "داينجر" قرروا أنهم أبصروه وهو يبرح مسكنه في الساعة السابعة صباحا كالمعتاد وأن وصيفة الكونتس وطاهيتها اللتين قضتا زهاء العشرين عاما في خدمة "الكونتس" قد قررتا أنهما استيقظتا في الساعة الثامنة . فوجدتا باب الشقة مغلقا بالمفتاح كالمعتاد .

"فالمسألة الآن هي .. إذا كان "داينجر" هو المجرم حقا .. فكيف استطاع الخروج من الشقة ؟ وإذا كان قد استخدم مفتاحا مصطنعا .. فأين هذا المفتاح؟

"ذلك ما يتعين على المحققين إيضاحه" .

غير أن المحققين لم يتمكنوا من إيضاح شيء . كل ما هنالك أنهم رجعوا إلى ملفات الشرطة فوجدوا أن المتهم من ذوي السوابق . وأنه سكير عربيد لا يحجم عن ارتكاب جريمة القتل عند الضرورة .

على أن الحادث لم يزد مع مرور الأيام إلا غموضا . فقد قررت الآنسة

"بستكليف" ابنة عم "الكونتس" ووريثتها الوحيدة ان "الكونتس" كتبت إليها منذ شهر تكشف لها عن طريقتها في إخفاء اللؤلؤة وعن المكان الذي تخبئها فيه وان الرسالة التي تتضمن كل هذه المعلومات قد اختفت في اليوم التالي لورودها ولم يعرف سارقها .

كذلك قررت حارسة الباب في منزل "الكونتس" انها فتحت الباب في ليلة الجريمة لشخص مجهول زعم انه يريد مقابلة الدكتور "هاريل" .

ولما سئل الدكتور في ذلك قرر أن احدا لم يطرق بابه وانه لم ير احدا.

فمن كان إذن ذلك الشخص المجهول ؟ وهل هو شريك للمتهم ؟

وقد هضمت الصحف والراي العام فكرة وجود شريك للمتهم في شخص ذلك .. الزائر المجهول .. وراح المفتش "جانيمار" يعزز هذه الفكرة بكل ما اوتي من قوة ..

كان يقول لقاضي التحقيق :

- إنني ارى في هذا الحادث إصبع "ارسين لوبين" فهو بغير شك شريك للمتهم .

ولكن قاضي التحقيق هز كتفية واجاب :

- إنك ترى "لوبين" في كل مكان .

- إنني اراه في كل مكان .. لانه حقا في كل مكان .

- بل قل إنك تراه في كل حادث يتعذر عليك فهم حقيقته .إن من السهل جداً نفي التهمة عن "لوبين" .. فالجريمة قد ارتكبت في الساعة الحادية عشرة والدقيقة العشرين كما يدل على ذلك عقربا الساعة ، في حين أن الشخص المجهول الذي تكلمت عنه حارسة الباب والذي تعتقد انت انه "أرسين لوبين" لم يطرق باب المنزل إلا في الساعة الثالثة صباحا .. اي بعد اربع ساعات من ارتكاب الجريمة .

بيد أن "جانيمار" لم يقتنع بهذا التدليل المنطقي المعقول وازداد شعوره بوجود إصبع "ارسين لوبين" في الجريمة حين راى المحامي "جان باربيه" يقابل المتهم في سجنه .. ويتطوع للدفاع عنه .

كانت شكوكه في "باربيه" قد تضاعفت بعد حادث السندات المسروقة فقد لمس بيده شذوذ "باربيه" ووسائله العجيبة في حل جميع القضايا

لمصلحته .. وهي وسائل فذة لا يوجد غير رجل واحد في العالم يمكن أن يتفتق عنها ذهنه . وهذا الرجل هو "ارسين لوبين" .

رأى "باربيه" يتطوع للدفاع عن "فكتور داينجر" .. فاستنتج من ذلك نتيجتين: الأولى أن "داينجر" لابد أن يكون المجرم حقا .. والثانية أن "باربيه" يعمل لغرض واحد .. هو الاستيلاء على اللؤلؤة السوداء . قال لنفسه : إذا أدين "فكتور داينجر" ، وثبتت عليه تهمة القتل ، وكان "لوبين" شريكه بالفعل ، فإنه لا يتردد في الاعتراف بهذه الشركة لينقذ نفسه من الإعدام ، وفي هذه الحالة ، يضيع "لوبين" ، وتضيع على "باربيه" فرصة الاستيلاء على اللؤلؤة .

غير أن الأدلة ضد المتهم كانت اضعف من أن تصمد أمام الجدل الصحيح .

ولكن العدالة كانت بحاجة إلى من تقتص منه ، وكان رجال الشرطة كذلك بحاجة إلى ضحية يذرون بها الرماد في العيون التي ترى عجزهم وفشلهم ، وعلى ذلك فقد قدم " داينجر " إلى المحاكمة .

ووجد المحامي " باربيه " أمامه قضية رابحة ، لا تحتاج إلى كثير من البراعة. فاطلع القاضي على تفاهة القضية ونقص التحقيق .

قال إنه لا يوجد ضد المتهم أي دليل مادي ، فإذا صح وكان هو القاتل ، فاين المفتاح المصطنع الذي اغلق به باب الشقة بعد ان ارتكب الجريمة ؟ واين الخنجر الذي قتلت به "الكونتس" ؟

واخيرا ، اين اللؤلؤة السوداء ؟

لم يعثر رجال الشرطة في بيت المتهم على شيء من هذه الأدلة المادية.

اما الزر الذي وجده المفتش " جانيمار "بجانب جثة الكونتس فإنه لا يعتبر دليلا ، إذ يحتمل أن يكون المتهم قد فقد هذا الزر في غرفة سيدته في اثناء النهار .

وختم " باربيه " دفاعه عن المتهم بقوله :

ومهما يكن من أمر فعليكم أن تثبتوا أن موكلي هو الذي ارتكب الجريمة. اثبتوا أن القاتل السارق ليس هو الشخص المجهول الذي دخل المنزل في الساعة الثالثة صباحا ! اما قرينة عقربي الساعة فلا يصح الأخذ بها إذ كان في استطاعة القاتل أن يحرك العقربين كما

يشاء .

وقد أخذت المحكمة باقوال الدفاع واصدرت حكمها ببراءة المتهم .

واطلق سراح " فكتور داينجر " فخرج من سجنه ضعيفا هزيلا .. مضعضع الحواس .

كانت الأسابيع التي قضاها في السجن قد تركت في نفسه اثرا سيئا ، وكان منظر المشنقة الذي طالما تراءى له في أحلامه ثم الساعات الطويلة التي قضاها بين ايدي المحققين والموقف الرهيب الذي وقفه في قفص الاتهام ، كل ذلك ملأ نفسه ذعرا وهلعا .. فراح يلتمس الهدوء والطمانينة وراحة البال في غرفة متواضعة بحي "مونمارتر" .

وكان اول ما فعله "داينجر" بعد خروجه من السجن .. انه ذهب إلى مكتب الأستاذ "باربيه" ليشكر له تطوعه للدفاع عنه .

وقد قابله "باربيه" بشيء من الفتور وفاجاه بقوله :

– لقد كنت انتظر قدومك فغمغم "داينجر" :

– دعني أعبر لك عن شكري يا سيدي .. فانا ادين لك بحياتي وحريتي .

فرمقه "باربيه" بنظرة حادة ثم قال وهو يوليه ظهره :

– كن مطمئنا .. فانت لا تدين لي بشيء لانني لم اكن ادافع عنك .

فنظر إليه "داينجر" في دهشة وهتف :

– لم تكن .. إذن ؟

– لقد كلفتني الآنسة "ستكليف" بالدفاع عن مصالحها .

– الآنسة "ستكليف" ؟

– نعم . وهي الوريثة الوحيدة "للكونتس دانديلو" .

– إذن ...

– وقد اناطت بي أن أرد إليها اللؤلؤة السوداء .

– اللؤلؤة السوداء ؟

– نعم . اللؤلؤة التي سرقتها .

فذعر "داينجر" وغمغم :

– لم أسرقها .

- بل سرقتها .

- إذا كنت انا الذي سرقتها ، فمعنى ذلك انني انا الذي قتلت الكونتس ؟

- انت الذي قتلت الكونتس .

فحاول "داينجر" أن يضحك . ولكن لم يخرج من فمه سوى فحيح مزعج وهو يقول :

- من حسن الحظ يا سيدي أن محكمة الجنايات قد رات غير رايك وقضت ببراءتي .

فتحول إليه "باربيه" وأمسك بساعده بشدة وهتف :

-دعك من هذا الجدل العقيم الذي لا يجدي . وأصغ إلي جيدا .. وافهم كل كلمة اقولها لك الآن .

حدث قبل مقتل "الكونتس دانديلو" بثلاثة أسابيع انك سرقت مفتاح الشقة ونهبت به إلى محل "أوتير" تاجر الأقفال بشارع "اوبر كامف" رقم ٢٤٤ وطلبت إليه أن يصنع لك مفتاحا مماثلا ...

فصاح "داينجر" :

- هذا غير صحيح .. هذا غير صحيح . لم ير احد المفتاح الذي تتكلم عنه .. إنه لا وجود له .

- ها هو ذا المفتاح .

ووضع "باربيه" مفتاحا على مكتبه ، فساد الصمت لحظة .

ثم استطرد المحامي :

- إنك قتلت الكونتس بخنجر اشتريته من ميدان "كونكورد" في ذات اليوم الذي صنعت فيه مفتاح الشقة .

فصاح "داينجر" :

- كل هذا كلام فارغ . إنك ترسل الكلام جزافا للإيقاع بي . إن احدا لم ير الخنجر .

- ها هو ذا .

فانكمش "داينجر" في مكانه .. واستطرد المحامي :

- ولا يزال مقبض الخنجر ملوثا بالدماء ..فهل يجب ان أوضح لك مصدر هذه الدماء ؟

- وبعد .. إن معك مفتاحا مصطنعا ، وخنجرا ملوثا بالدماء ولكن احدا لا يستطيع ان يثبت انهما مفتاحي وخنجري .

- يستطيع ان يثبت ذلك كل من تاجر الاقفال وبائع الخنجر ولا شك انهما سيعرفانك متى وقعت ابصارهما عليك .

وكان "باربيه" يتكلم بهدوء ، وبلهجة الواثق بنفسه . فانقلبت سحنة "داينجر".

لم يشعر بمثل هذا الحرج وهو في قفص الاتهام ، ولم يستطع احد من المحققين أن يتغلغل في الحقائق كما تغلغل هذا المحامي الغريب الذي انقذه من الإعدام وهو يملك جميع الأدلة المادية التي تثبت عليه الجريمة .

وعلى الرغم من ذلك فإنه حاول ان يتظاهر بقلة الاكتراث ثم سال :

- اهذا كل ما عندك من الادلة ؟

فاجاب "باربيه" :

- بل لايزال عندي دليل اخر : إنك بعد ان ارتكبت جريمتك ، عدت من الطريق التي جئت منها ، اي نفذت من المخدع إلى غرفة الملابس ، وهناك استولى عليك الرعب والضعف فجاة ، فاستندت إلى الجدار لتمنع نفسك من السقوط .

فغمغم "داينجر" بلسان متلعثم :

- كيف علمت ذلك ، لا يستطيع احد ان ...

- إن رجال العدالة لم يعلموا شيئا ، لانهم لم يكلفوا انفسهم عناء فحص الجدران ، ولو انهم اشعلوا إحدى الشموع وفحصوا جدران غرفة الملابس على ضوئها ، إذن لتبينوا على الجدار اثر اصابع يدك اليمنى ، وهو اثر خفيف جدا، ولكنه واضح ، بل إن الدم واضح جدا في الاثر الذي تركه إصبعك السبابة على الجدار .

ولعلك تعلم ان بصمات الاصابع اصبحت في العصر الحديث من اهم وادق وسائل ضبط المجرمين ، وإدانة المتهمين .

فاطرق "داينجر" براسه وتصبب العرق البارد على جبهته .

ثم رفع راسه بعد لحظة وحملق بعيني المجنون إلى وجه هذا الرجل الذي سرد عليه تفاصيل جريمة كانه شهد بعيني راسه كل مرحلة من

مراحلها .

اطرق براسه مرة أخرى إطراقة العاجز المعترف بعجزه . شعر بانه امام خصم عنيد ليس في وسعه إلا ان يطيعه فغمغم يقول :

- إذا رددت إليك اللؤلؤة فكم تعطيني ؟

- لا شيء .

- كيف ذلك ، هل اعطيك لؤلؤة لا يقل ثمنها عن بضع مئات من الوف الفرنكات ولا تعطيني انت شيئا .

- إنني امنحك الحياة .

فسرت في جسد المجرم رعدة قوية .

على أن "باربيه" ما لبث أن استطرد بلهجة اقل قسوة :

- اصغ إلي يا "داينجر" .. هذه اللؤلؤة لا قيمة لها عندك ومن المستحيل عليك أن تبيعها ، لأن رجال الشرطة - وفي طليعتهم المفتش "جانيمار" - يعتقدون اعتقادا راسخا بانك القاتل . وهم يتحينون الفرصة لضبط اللؤلؤة معك ، فإذا نجحوا اصبح من المستحيل إنقاذك من الإعدام . فلماذا إذن تريد الاحتفاظ باللؤلؤة ، وهي كما ترى دليل خطير قد يقذف بك إلى حبل المشنقة .

فقال "داينجر" :

- يوجد اناس يتجرون بالمسروقات ، وقد اتمكن يوما ما من بيع هذه اللؤلؤة باي ثمن .

- إنك لن تجد متسعا من الوقت لبيعها .

- لماذا ؟

-لماذا ؟ لأن العدالة ستضع يدها عليك حالما تبرح هذا المكان ، وستكون لديها في هذه الحالة ادلة مادية لا تقبل نقضا ولا دفعا ، سيكون لديها المفتاح المصطنع والخنجر الملوث بالدماء ، وبصمة يدك على الجدار .

وهنا دفن "داينجر" راسه بين كتفيه وراح يفكر .

لعن الساعة التي فكر فيها في مقابلة هذا الشيطان .

شعر بانه فقد كل شيء .. وانه يجتاز احرج موقف مر به في حياته واستولت عليه الملالة والسام فجاة .. وشعر برغبته في أن يستريح ..

وان يستمتع بالحياة الهادئة بدون أن يكون ثمة ما يهدده .
غمغم :
- متى تريد الحصول على اللؤلؤة ؟
- الليلة ... بعد ساعة على الأكثر .
- وإلا ؟
- وإلا فإنني ابرق إلى موكلتي الآنسة "ستكليف" بان تبلغ امرك إلى رجال الشرطة وتلفتهم إلى الأدلة المادية التي يكفي كل واحد منها لردك إلى السجن وضياعك .
- حسنا .. إنني تعبت من هذه الحالة التي لا تطاق .. فتعال معي .. لتاخذ تلك اللؤلؤة اللعينة .
وكان الليل قد ارخى سدوله ، فانصرف الرجلان من مكتب "باربيه" بشارع "ليبيك" وعرجا على الطريق إلى ميدان "ليتوال" ولم ينطق احدهما ببنت شفة في اثناء الطريق .. وكانت تبدو على "فكتور داينجر" علامات التعب والسأم .
ساله المحامي :
- إلى اين تذهب بي ؟
فاجاب "داينجر" بصوت اجش :
- إلى حدائق "مونسو" .
- وهل ذهبت إلى هناك غداة يوم الجريمة ؟
- نعم .. إنني بكرت في النهوض وقصدت إلى هناك قبل ان اذهب إلى بيت الكونتس .
ووصلا إلى حدائق "مونسو" . وسارا بحذاء السور الحديدي الذي يحيط بالحدائق حتى بلغا مكانا معينا . وهناك تهالك "داينجر" على احد المقاعد العامة الموضوعة لصق السور .
ساله "باربيه" :
- ماذا بك ؟
- إنها هنا .
- اللؤلؤة السوداء هنا .. ماذا تقول ؟
- اقول إن اللؤلؤة هنا .. امامنا .

- امامنا!! اصغ إلي يا"داينجر".. إذا كنت ترمي إلى الاستهزاء بي و..
- قلت لك إنها هنا .. امامنا .
- اين ؟
- بين قطعتين من قطع الحجر التي يتالف منها إفريز الشارع ...
- اية قطعتين ؟
- ابحث ...
- هل تريد ان تضعني امام معضلة ؟ هل تريد ان تمتحن ذكائي ...؟
- لا .. ولكني اخشى ان اموت كمدا إذا انا اعطيتك اللؤلؤة بيدي ..
- آه ..
- من الغبن ان تتركني اموت جوعا .
- حسنا .. إنني ساعاملك بمنتهى الكرم والسخاء .. فكم تطلب ؟
- أطلب نفقات رحيلي إلى امريكا .
- اتفقنا ...
- واطلب كذلك مبلغ الف فرنك ..
- ساعطيك الفين من الفرنكات .. تكلم إذن .
- إنها بين القطعة السابعة والقطعة الثامنة .. احص قطع الحجر من هنا .. نعم ..

فاحصى "باربيه" قطع الحجر التي يتكون منها الإفريز ثم وقف عند القطعة السابعة .. واجال الطرف حوله ..

كان الناس يسيرون في طريقهم دون أن يعيره أحدهم التفاتا ولم ير اثرا لـ"جانيمار" او لأحد رجاله .. فاخرج من جيبه سكينا وقال محدثا "داينجر" :

- وإذا لم اجدها ؟
- إذا لم يكن احدهم قد رآني وانا اخبئها .. فإنها لا تزال في موضعها بغير شك .

فهز "باربيه" راسه :

- من ذا الذي يصدق ؟ .. من ذا الذي يتصور ان اللؤلؤة السوداء الشهيرة التي يربو ثمنها على نصف مليون فرنك تبقى في الأوحال عدة أسابيع تحت تصرف اول من يقع عليها بصره . ثم ساله :

- هل أحدثت لها ثقبا عميقا ؟
- إنني خبأتها على عمق عشرة سنتيمترات أو ما يقرب من ذلك .
فراح "باربيه" يعمل نصل السكين في الشق بين قطعتي الحجر .. إلى ان ارتطم النصل بشيء .. فجعل يعمل بإصبعه على توسيع الثقب .. حتى لاحت له اللؤلؤة .
قال وهو يضعها في جيبه :
- خذ .. إليك الفين من الفرنكات .. وسابعث إليك غدا صباحا تذكرة السفر إلى امريكا .
وبعد يومين .. بينما كا "جان باربيه" المحامي يرتب اوراقه على مكتبه وعلى وجهه علامات البشر والارتياح .. إذا بباب المكتب يفتح .. وإذا القادم مفتش الشرطة "جانيمار" ..
وكان جانيمار" منتفخ الأوداج غضبا وحنقا فبادره "باربيه" بقوله :
- اهلا بالعزيز "جانيمار" .. ماذا بك يا رجل ؟ هل سرقت سنداتك مرة أخرى؟
فلم يجب "جانيمار" .. بل أخرج من جيبه نسخة من إحدى الصحف والقى بها امام "باربيه" وقال وهو يضع إصبعه على مكان معين بالجريدة :
- خذ واقرا .
فتناول "باربيه" الجريدة وقرا بها النبا التالي :
"كان بين ركاب الباخرة "اتلانتيك" التي ابحرت امس إلى امريكا مسيو "فكتور داينجر" الذي اتهم بقتل "الكونتس دانديلو" واطلق سراحه اخيرا .. "
هز "باربيه" كتفيه ورد الجريدة إلى "جانيمار" وهو يقول :
- و اية غرابة في هذا ؟
فصاح "جانيمار" :
- هذا الرجل هو قاتل "الكونتس" .
- هذا صحيح ..
- و"ارسين لوبين" شريكه .
- وهذا صحيح ايضا .

- وقد استولى "ارسين" على الماسة السوداء ..
- لا شك في ذلك ..
- وساعد هذا الشقي على الفرار إلى امريكا ليامن شره .
- إنك تحسد على هذا الذكاء يا "جانيمار" .
- كيف إذن دافعت عن هذا الشقي وانكرت اشتراك "لوبين" في الجريمة ؟
- لانني لم أعرف الحقيقة إلا اليوم ..
- وكيف عرفتها ؟
- جاءتني رسالة من "لوبين" يوضح فيها ما غمض من اسرار الجريمة .
- واين هذه الرسالة ؟
- فابتسم "باربيه" في خبث واجاب :
- هذا سر المهنة .
فعض "جانيمار" على شفتيه بغيظ واطرق براسه لحظة ثم سال :
- وماذا قال "لوبين" في رسالته ؟
- إنه اطرى ذكاءك ومهارتك وبعد نظرك .
- ثم ؟ ..
- ثم أوضح ما خفي عليك من أمر مقتل الكونتس .
- وإذن فقد كان شريكا للقاتل كما توقعت ؟
- إنه لم يكن شريكا بالمعنى الذي نفهمه .. ولكن كان من المصادفات العجيبة انه استطاع بطريقة ما ان يستولي على رسالة "الكونتس" إلى قريبتها ووريثتها.. وهي الرسالة التي اوضحت فيها "الكونتس" كيف تخبئ لؤلؤتها الثمينة .. فلما ذهب إلى بيت الكونتس للتحقق من مضمون الرسالة ... وجد المراة المسكينة غارقة في بحيرة من الدماء .
فهتف "جانيمار" :
- إذن فهو الذي زار البيت في الساعة الثالثة صباحا بدعوى مقابلة الدكتور "هاريل" .
- بالضبط .. فلما اكتشف الجريمة .. وتاكد من ان اللؤلؤة سرقت ، اخذ يفكر.. وهداه تفكيره إلى معرفة الحقيقة ...

- وهي ...

- وهي أن مرتكب الجريمة لابد ان يكون خادم الكونتس .

- وأين ذهبت إذن أدلة الجريمة ؟

- لقد قال لي في رسالته : إنه اكتشف جميع الأدلة المادية التي تركها المجرم في فزعه ... فاستولى عليها جميعا ... واحتفظ بها لنفسه ... ولم يبق منها غير الزر .

- وماذا كان غرضه ؟

- كان غرضه أن يتهم "داينجر" فيقبض عليه . ثم تبدو الأدلة غير كافية فيفرج عنه . وعندئذ يستطيع مقابلته وتهديده بالأدلة المادية التي عنده . ويسلمه غنيمته .

فنظر "جانيمار" إلى المحامي بارتياب . وغمغم :

- أه ...

- ولا شك أن "داينجر" كان من السذاجة بحيث وقع في هذا الفخ .

- كان من السذاجة ؟ .

- بالتاكيد .. لأن "لوبين" لم يكن في استطاعته أن يخرج تهديده من حيز القول إلى حيز الفعل .

- لماذا ؟

فاجاب "باربيه" وهو يبتسم :

- لسبب بسيط يدركه كل مشتغل بالقانون .. وهو أن القانون لا يجيز محاكمة الشخص مرتين لجريمة واحدة .وقد حوكم "داينجر" وبرأته المحكمة .. فكان من المستحيل قانونا إذن أن يحاكم للمرة الثانية .

ـ ٥ ـ

المحكوم عليه

جلس الشاب أمام إحدى الموائد في مطعم "الإمبريال" .. وراح يتناول طعامه ببطء .. ويجول ببصره بين أعمدة إحدى الصحف .

ولابد أن نبأ في الجريدة لفت نظر الشاب وأثار اهتمامه وفزعه .. لأن يده وقفت فجاة في منتصف الطريق إلى فمه ثم ألقى بالجريدة بغتة . ونهض واقفا. واستدعى خادم المطعم بصوت يدل على الفزع وهتف به:

- كم الحساب .. أسرع ؟

ووضع في يد الخادم ورقة مالية . ولم ينتظر حتى يأتيه الخادم بما تبقى منها.. بل تبعه إلى حيث تجلس عاملة الخزانة . ولفتت هذه الحركة نظر رجل آخر كان يتناول الطعام على المائدة المجاورة .. فنهض من مكانه بدوره وتناول الجريدة التي تركها الشاب على المائدة.. وأجال الطرف بين أنبائها ولفت نظره النبأ التالي :

"علمنا والجريدة ماثلة للطبع أن المحامي "جوردان" الذي تولى الدفاع عن "جاك أوبريو" قد تشرف اليوم بمقابلة رئيس الجمهورية .. والمفهوم أن الرئيس رفض العفو عن المحكوم عليه .. وأن الإعدام سينفذ في المتهم غدا صباحا" .

قال الرجل وهو يرد الجريدة إلى موضعها :

- لا شك أن هذا النبأ هو الذي أزعج الشاب .

ونقد الخادم ورقة مالية .. وأسرع في أثر الشاب .. وكان هذا الأخير قد خرج من المطعم .. ووقف على إفريز الشارع في انتظار مرور إحدى السيارات الأجرة .

اقترب الرجل من الشاب ، وقال له :

- عفوا يا سيدي .. قد لاحظت أنك غادرت المطعم في حالة انزعاج وفزع.. وكان النبأ الخاص بـ "جاك أوبريو" هو سبب فزعك واضطرابك.. أليس كذلك ؟

فأجاب الشاب على الفور :

- بلى .. بلى .. إن "جاك اوبريو" صديقي منذ الصغر وقد ازعجني نبا إعدامه واريد الآن مقابلة زوجته للترفيه عنها . لا شك ان المسكينة ستجن حزنا وفزعا .

- هل استطيع مساعدتكم بشيء ؟ . انا "جان باربيه" المحامي .

على ان الشاب كان في اشد حالات الفزع من النبا الذي قراه .. وبدا عليه انه لم يفهم غرض "باربيه" . فغمغم يقدم نفسه إلى محدثه :

- انا ادعى "دوتري" ، "جاستون دوتري" .

فقال "باربيه" :

- انا لا اعلم الكثير عن "جاك اوبريو" وجريمته ولكني سمعت لغطا بشان ادلة الإدانة والأوراق المالية المسروقة ، واعتقد انني استطيع مساعدته إذا عرفت حقيقة قصته .

مرت في هذه اللحظة إحدى سيارات الأجرة ، فاستوقفها "دوتري" ووثب فيها . وهم بان يغلق بابها غير ان "باربيه" وثب في اثره . وقال وهو يحتل مكانه :

- الا أستطيع ان اعرف المزيد من امر الجريمة التي ارتكبها "اوبريو" ؟ كل ما اعلمه انه قتل احد اقربائه اليس كذلك ؟ . فذكر الشاب لسائق السيارة عنوان مدام "اوبريو" ثم تحول إلى "باربيه" وقال :

- إنه بريء يا سيدي . اقسم لك إنه بريء . إن "جاك" صديقي منذ عشرين سنة .. وانا واثق بانه بريء .. هذا مخيف .. نعم هذا مخيف .

ولم يزد الشاب على ذلك .. وعبثا حاول "باربيه" أن يعرف المزيد .. إذ كان يلوح أن الصدمة ضعضعت حواس الشاب على أن رحلة السيارة لم تكن طويلة فوصلت إلى "نويلي" ودلفت إلى شارع ضيق ووقفت امام منزل يتكون من طابق واحد وهناك وثب "دوتري" من السيارة كمن به مس . راح يقرع الباب بشدة ففتحت الباب إحدى الخادمات وقالت للطارق :

- إن سيدتي مع امها في قاعة الاستقبال .

فاجاب الشاب بحدة :

- أريد أن اراهما في الحال .

دخل وتبعه "باربيه" فذهبت بهما الخادمة إلى غرفة فسيحة مؤثثة

بذوق سليم وهناك راى الرجلان سيدتين لاتزال الدموع تبلل اهدابهما.
كانت إحداهما متقدمة في السن وقد خط الشيب شعرها فتقدمت لاستقبال "دوتري" . وقدم إليها "دوتري" زميله ، فقالت السيدة على الفور موجهة كلامها إلى المحامي :
- اؤكد لك يا سيدي ان زوج ابنتي بريء . إنه من اشرف الرجال واطيبهم قلبا . ومن المستحيل ان يكون قد قتل ابن عمه كما يزعمون .
إنه كان يحب ابن عمه هذا ويحله من نفسه محلا رفيعا . إنه بريء يا سيدي . اقسم لك إنه بريء .. ومن القسوة ان يعدموه . إذا قتلوه كان ذلك ضربة قاضية على ابنتي التعسة .
وقد ادرك "باربيه" على الفور ان زوجة المتهم ووالدتها كانتا واثقتين ببراءة المتهم .. وانهما كانتا تنتظران ظهور هذه البراءة بين لحظة واخرى . ولذلك هبط عليهما نبا الإعدام هبوط الصاعقة .
اقترب من الزوجة .. ولم تكن قد تحركت من موضعها .
كانت لاتزال في مقتبل العمر وعلى جانب كبير من الفتنة والجمال بيد أن الحزن ترك اثره العميق على وجهها الفاتن .
قال لها بصوت هادئ حزين :
- يا سيدتي ، إن قضية زوجك قد اثارت فضولي ، وحزنك العميق قد اثار شفقتي ولست اعلم ماذا استطيع ان افعل من اجلك .. ولكن إذا كان في العالم شخص يستطيع ان يفعل شيئا مفيدا فإنني ذلك الشخص .. ولذلك ارجو ان تجيبي عن اسئلتي بوضوح وجلاء . وبان تعتقدي بان الصراحة قد تغير الموقف تغييرا جوهريا .
إنك اولا تؤمنين ببراءة زوجك . اليس كذلك ؟
فاجابت على الفور .. وبلهجة الثقة واليقين :
- بلى ! يا سيدي ..
- إنك لم تستطيعي إقناع المحقق ببراءة زوجك فهل في مقدورك ان تقنعيني؟ ماذا كانت مهنة زوجك يا سيدتي ؟
- كان يشتغل مندوبا لإحدى شركات التامين .
- هل كان موفقا في عمله ؟

– نعم ، حتى العام الماضي .
– وإذن ، فقد ساءت أحواله المالية في المدة الأخيرة ؟
– نعم ..
– ومتى ارتكبت الجريمة ؟
– في مارس الماضي .. في يوم أحد .
– والضحية ؟
– إنه ابن عم زوجي ويدعى "جيرار" ويقطن في "سورسن" .
– والمبلغ الذي سرق ؟
– ستون ورقة مالية من فئة الألف فرنك ..
– هل كان زوجك يعلم بامر هذا المبلغ ؟
– نعم .. فقد اتصل به "جيرار" تليفونيا في يوم الأحد وانباه به فالح عليه زوجي بالا يحتفظ معه بمثل هذا المبلغ الباهظ ونصح له بان يودعه احد البنوك.
– كان هذا الحديث التليفوني في صباح يوم الأحد ؟
– بل في الساعة الواحدة بعد الظهر .. وكان زوجي قد وعد "جيرار" بان يذهب إليه في بيته بالموتوسيكل الذي يستخدمه في تنقلاته ، ولكنه كان متعبا فاتصل بابن عمه واعتذر له عن عدم الحضور .. وقضى بقية النهار هنا .
– وحده ؟
– نعم وحده .. وكنا قد رخصنا للخادمتين بإجازة في ذلك اليوم اما انا فقد ذهبت إلى دار للسينما في "تيرن" برفقة والدتي وصديقتنا "دوتري" .
وفي المساء .. علمنا بمقتل "جيرار" .. وفي اليوم التالي القي القبض على زوجي .
– وماذا كانت ادلة الاتهام ؟
فترددت الزوجة التعسة .. وادرك "باربيه" من ترددها ان الادلة لابد ان تكون قوية ساحقة .
اعاد عليها السؤال فاجابت :
– ثبت ان القاتل ذهب إلى "سورسن" بموتوسيكل .. ودلت الآثار على

انه موتوسيكل زوجي . وقد عثروا كذلك على منديل في احد اركانه الحروف الأولى من اسم زوجي . ووجدوا أن المسدس الذي ارتكبت به الجريمة مسدس زوجي كذلك وزعم احد جيراننا انه راى زوجي في الساعة الثالثة وهو ينطلق من المنزل بموتوسيكل . وزعم آخر انه راى زوجي عندما عاد إلى المنزل في منتصف الساعة الخامسة .

وقد قرر الطبيب الشرعي أن القتل حدث في الساعة الرابعة فالأدلة كما ترى قوية .

– وبماذا دافع زوجك عن نفسه ؟

– اكد انه قضى طيلة الوقت بعد الظهر نائما في فراشه . ولا شك ان احدهم استطاع خلال ذلك ان يستولي على الموتوسيكل وينطلق به إلى "سورسن" .

أما المنديل والمسدس فكانا في حقيبة صغيرة ملحقة بالموتوسيكل فلا غرابة إذن إذا كان القاتل الشقي قد استعان بهما في جريمته واستخدمهما في إبعاد الشبهة عن نفسه . وإلصاقها بزوجي .

– هذا تفسير معقول ومقبول .

– نعم . ولكن المحقق لم يقتنع به لسببين : أولهما ان احدا لم يستطع إثبات وجود زوجي في المنزل وهو الذي اعتاد الخروج بالموتوسيكل بعد ظهر أيام الأحد .

– والسبب الثاني ؟ ..

فاحمر وجه المرأة وغمغمت :

– والسبب الثاني هو ان القاتل تناول نصف محتويات زجاجة شراب عثر عليها في مكتب "جيرار" وقد وجد على الزجاجة بصمات أصابع .

وهنا قالت أمها :

– إنه بريء ، اليس كذلك ؟ ليس في استطاعتهم أن يعدموا رجلا بريئا ..

فأخذ "باربيه" يسير في الغرفة جيئة وذهابا .

ساله "دوتري" :

– إنك لا تستطيع ان تفعل شيئا من اجلهم . اليس كذلك ؟

- نحن الآن في منتصف الساعة الثانية عشرة .. وغدا صباحا ..
ولم يتم جملته .. فساله الشاب :
- هل تعتقد انه مجرم ؟
- لا اعلم .. لا اعلم .. بيد ان زوجته تؤمن ببراعته .. إن الزوجين المتحابين قل ان يخطئ شعور احدهما نحو الآخر .. ومع ذلك ..
وجلس على احد المقاعد .. واشعل لفافة تبغ ... وراح يدخن في سكون..
وكان ينظر في ساعته بين الفينة والفينة .
كانت للدقائق قيمتها واهميتها ..
واخيرا .. نهض "باربيه" واقفا وامسك بيدي الزوجة الشابة وقال لها في لطف:
- يجب الا تقطعي الأمل .. ويجب الا تقتلي نفسك حزنا واسى .. واعدك من ناحيتي بالا اقنط حتى آخر لحظة .
- إنني اثق بك يا سيدي ..
- حسنا .. اصغي إلي يا سيدتي .. إنني سانصرف الآن .. ولكني ساعود إليك بعد ساعتين بالخبر اليقين .. فهل تعدينني بان تاخذي بالصبر حتى اعود؟.
- اعدك بذلك .
- حسنا .. هل تاتي معي يا مسيو "دوتري" ؟
وعندما انصرف الرجلان .. التفت "باربيه" إلى الشاب وساله :
- هل تعرف مطعما صغيرا هادئا ؟
فاجاب "دوتري" :
- اعرف مطعم "لوتيسيا" في ميدان "تيرن" وهو كائن باسفل المنزل الذي اقيم فيه .
- حسنا .. إن هذا المطعم يلائم غرضنا .
وساد الصمت بين الرجلين بعض الوقت ثم التفت "باربيه" إلى "دوتري" وقال له :
- يخيل إلي انني قرات في الصحف انهم عرفوا ارقام الأوراق المالية التي سرقت من القتيل ، وكانت سببا في قتله ... اليس كذلك ؟ فاجاب:

- بلى .. لأن القتيل كان قد سجل هذه الأرقام في دفتر صغير معه .
فغمغم "باربيه" :
- هنا المشكلة .. اين ذهبت الأوراق المالية ؟ إذا عرفنا جواب هذا السؤال قطعنا الشك باليقين في امر المجرم . ولما بلغا مطعم "لوتيسيا" انتحيا ناحية خاصة حيث وجدا هناك جهازا للتليفون .
طلب كل منهما قدح قهوة ، وتناول "باربيه" قدحه في بطء وسكون .
وما إن فرغ من تناول القهوة حتى نهض إلي جهاز التليفون ، وقد ارتسمت على وجهه دلائل العزم .
تناول السماعة وهتف :
- الو .. اريد الاتصال بإدارة الشرطة .. إدارة الشرطة ؟ هل المفتش "جانيمار" موجود ؟ نعم .. اريد التحدث إليه .. إنه يعرفني حق المعرفة وقد اشتركنا معا في العمل مرارا .
ثم التفت إلى "دوتري" وقال :
- لا مانع لديك بالتاكيد من ان ادعو احد مفتشي الشرطة للتعاون معنا ..
- لا .. بالتاكيد .. يجب ان نبذل قصارى جهدنا لإنقاذ "اوبريو" .
فاستانف "باربيه" حديثه التليفوني :
- آلو .. آلو .. "جانيمار" . هل عرفت صوتي .. يالك من رجل ذكي . اصغ إلي يا "جانيمار" .. بين يدي قضية خطيرة سوف يكتب لك فيها المجد . اصغ . اصغ ولا تقطع الحديث . إن في استطاعتي ان ارشدك إلى الحلقة المفقودة في قضية "جاك اوبريو" . نعم اعرف مكان الأوراق المالية التي سرقها "اوبريو" من ابن عمه بعد ان قتله .
فإذا كان يهمك ان تضع يدك على هذه الأوراق فاحضر في الحال لمقابلتي بمطعم "لوتيسيا" في "تيرن" .
إنني هنا في انتظارك مع مسيو "دوتري" صديق "اوبريو" .
ووضع "باربيه" السماعة ونظر إلى "دوتري" فراى على وجهه علامات الدهشة الشديدة .:
ساله هذا الأخير :
- انت تعلم إذن ! .. هل اكتشفت مكان الأوراق المالية بهذه السرعة ؟

- إنني لم إكتشف شيئا على الإطلاق .
- إذن ...
- بيد انني أبدا عملي دائما كما لو كنت اعرف كل شيء .. وهي خطة تؤدي في غالب الأحيان إلى النتيجة المطلوبة .
ثم استطرد بعد لحظة :
- سيكون "جانيمار" هنا بعد عشرين دقيقة على الأكثر .
- وإذا لم يحضر .
- يكون ذلك مبعثا للدهشة والعجب . ثم ابتسم واستطرد : ولكني واثق بانه سيحضر ولو انني قلت لـ "جانيمار" إن "اوبريو" بريء . فاحضر لأقدم إليك الدليل على براءته إذن لضرب بكلامي عرض الحائط لأنه من المستحيل ان يصغي إليك رجال الشرطة والعدالة مهما اكدت لهم أن المحكوم عليه الذي سينفذ فيه الحكم غدا بريء .
- لا .. إن "جاك اوبريو" هو الآن ملك للجلاد ولن ينقذه من الإعدام إلا معجزة من المعجزات .
على انك إذا قلت لرجال الشرطة إنك وقفت على الحلقة المفقودة في قضية متهم حكم عليه بالإعدام فإنهم لا يترددون في الإصغاء إليك لأنك ستقدم إليهم دليلا يزيد مركز المتهم إحراجا ويزداد اهتمامهم بطبيعة الحال متى كانت هذه الحلقة المفقودة هي الركن الضعيف في التحقيق.
- ولكن مادمت لا تعلم على وجه التحقيق فإن ..
- اصغ إلي يا صديقي إذا استعصى على الإنسان في تحقيق الجرائم ان يعرف حل هذا اللغز او ذاك ، فإن الوسيلة الوحيدة لإنقاذ الموقف هي أن يفترض احد الفروض ويبني جميع النتائج على هذا الافتراض .
- وهل تفتق ذهنك عن نوع من انواع الفروض ؟
فلم يجب "باربيه" في الحال بل فكر طويلا ثم قال :
- بالتاكيد إنني افترضت فرضا .. ولو كان لدي متسع من الوقت لبذلت قصارى جهدي للتحقق من صحة هذا الفرض . ولكني للأسف لا أجد أمامي غير مهلة ساعتين ولذلك قررت ان امضي في طريقي على أساس صحة افتراضي .

وفي هذه اللحظة ، فتح باب المطعم .. ودخل "جانيمار" فاجال الطرف حوله.. ورأى "باربيه" وصاحبه جالسين في أحد الأركان فقصد إليهما.

نظر "جانيمار" إلى "باربيه" شزراً وجلس بدون أن يجيبه فابتسم "باربيه" وقال :

– دعني أتدارك ما غاب عنك من تقاليد اللياقة أيها العزيز "جانيمار". فاقدم إليك هذا الصديق مسيو "جاستون دوتري" .

فاحنى "جانيمار" راسه للشاب .

واستطرد "باربيه" :

– انت تعلم دون شك لماذا دعوتك ؟

– الم تدعني من أجل الأوراق المالية التي سرقت من مسيو "جيرار" ؟ ها هي ذي أرقامها .

واخرج من جيبه ورقة فتناولها "باربيه" والقى عليها نظرة سريعة ، ثم قال :

– حسنا فعلت بإحضار هذه القائمة .. والآن .. أصغ إلي يا عزيزي "جانيمار" .. إنني قمت في قضية مقتل مسيو "جيرار" بتحقيق دقيق انتهى إلى نتيجة مهمة .

– هي ؟

– هي أن القاتل بعد أن ارتكب جريمته .. وضع الموتوسيكل في بيت المتهم الذي حكم عليه فيما بعد بالإعدام .. ثم جاء إلى هنا مسرعا .. ودخل هذا البيت .

– هذا البيت ؟

– نعم .. هذا البيت الذي يقع المطعم في أسفله .

– ولكن ماذا اتى يصنع هنا ؟

– جاء لإخفاء غنيمته .. لإخفاء الأوراق المالية .

– كيف ؟ وأين أخفاها ؟

– اخفاها في شقة بالطابق الخامس .. كان معه مفتاحها . فصاح "دوتري" في دهشة :

– ولكن لا توجد في الطابق الخامس سوى شقة واحدة .. وأنا الذي أقيم في تلك الشقة .

فقال "باربيه" :

- هذا ما أعلمه . ولكن لما كنت انت قد ذهبت إلى دار السينما برفقة مدام "اوبريو" وامها فقد انتهز القاتل الفرصة ودخل الشقة واخفى بها الأوراق المالية .

- مستحيل .. إنني احتفظ دائما بالمفتاح معي .

فهتف "باربيه" :

- إن في الاستطاعة الدخول بلا مفتاح .

وكان "جانيمار" يصغي إلى هذه المحادثة العجيبة بفضول شديد .. وقد تبين فيها طريقة "باربيه" الخالدة .. طريقة تمثيل الجريمة او إحدى نواحيها امام الشخص الذي يظن انه الفاعل .. ثم قال :

- في استطاعتنا ان نتفاهم في هدوء .. انت تقول يا "باربيه" : إن الأوراق المالية المسروقة قد اخفيت في شقة مسيو "دوتري" .

- نعم ..

- إذا صح هذا .. وجب أن تكون الأوراق لاتزال في مخبئها لان "جاك اوبريو" قد القي القبض عليه في صباح اليوم التالي للجريمة فلم يجد فسحة من الوقت لاسترداد الغنيمة . هذا رايي .

وهنا لم يتمالك "جاستون دوتري" من ان يضحك وقال في تهكم :

- هذا غريب حقا إذ لو صح لكنت عثرت على الأوراق المالية في شقتي ..

فسأله "باربيه" :

- هل بحثت عنها في شقتك ؟

فاجاب الشاب :

- لا .. ولكن كان في استطاعتي أن اعثر عليها في اي وقت .. لان الشقة ضيقة ويستطيع الإنسان بنظرة واحدة ان يحيط بكل محتوياتها .

- مهما كانت مساحة الشقة فإن في الإمكان إخفاء ستين ورقة مالية في احد اركانها . وهنا قال "جانيمار" :

- مادام "باربيه" يزعم أن الأوراق اخفيت في شقتك فإن ابسط وسيلة للتحقق من صحة هذا الزعم او خطئه هي أن نفتش الشقة ..

اليس كذلك ؟
فهتف الشاب :
- بلى .. بلى .. هذه حقا ابسط وسيلة . هلما بنا .
وصعد ثلاثتهم السلم حتى الطابق الخامس . وهناك فتح "دوتري" باب الشقة بمفتاح كان معه .
كانت الشقة مكونة من غرفتين .. قد وضعت قطع الأثاث فيهما وضعا يشهد بسلامة الذوق .
وبدأ "باربيه" هو و"جانيمار" عملية التفتيش . وكان الأول كلما حرك شيئا من موضعه احتج الشاب واسرع إلى الشيء فاعاده إلى مكانه ..
واخيرا برم بعبث "باربيه" بامتعته واثاثه فقصد إلى النافذة وفتحها واطل منها كانه لا يطيق أن يرى مثل ذلك العبث باشيائه التي يحلها من نفسه محلا مقدسا .
نظر "جانيمار" إلى "باربيه" وساله :
- هل انت واثق ؟؟
- نعم . نعم .. انا واثق كل الوثوق بان الأوراق المالية قد جيء بها إلى هنا بعد الجريمة . لنبحث إذن .. ولكن ..
ونظر "باربيه" نظرة خاصة .. فابتسم هذا وقال :
- كن مطمئنا .. المسالة في هذه القضية مسالة حياة أو موت . فلم يفهم "جانيمار" غرضه .. ولكنه استانف التفتيش .
ولم يطل بهما الأمر لأن الشقة كانت صغيرة وقد فرغا من تفتيشها تفتيشا دقيقا في اقل من نصف الساعة .
واخيرا قال "جانيمار" :
- لا يوجد شيء ...فهل نعيد تفتيش الشقة ؟
فاجاب "باربيه" :
- لا . إن الأوراق المالية ليست هنا الآن .
- ماذا تعني ؟
- اعني انها نقلت من هنا .
- ومن الذي نقلها ؟ ارجو أن تحدد الاتهام .
فلم يجب "باربيه" .. ونظر إليه "دوتري" شزرا ثم قال بحدة :

– اصغ إلي يا سيدي المفتش . ساوفر على هذا السيد مئونة تحديد الاتهام.

لقد ادركت من كلام مسيو "باربيه" واعماله ان رجلا غير شريف هنا . وان الأوراق المالية التي اخفاها القاتل هنا قد اكتشفها . اليس هذا ما تبادر إلى ذهنك يا سيدي ؟ الست تعتقد انني سارق الأوراق المالية ؟

ولم يسفر البحث عن شيء .

وهنا ظهرت على وجه "جانيمار" علامات الضجر والقلق . ونظر إلى "باربيه" متسائلا فقال هذا :

– مادمت تريد قولا صريحا مؤيدا بالأدلة والبراهين .. فإنني اترك لمدام "اوبريو" زوجة المحكوم عليه بالإعدام ان تقدم لنا الأدلة المطلوبة..

إن في بيتها جهازا للتليفون ، اليس كذلك ؟ هلما بنا إذن إلى المطعم، سنقطع الشك باليقين بعد دقيقة واحدة .

فهز الشاب كتفيه وقال :

– على رسلك ، ولكني واثق بانك تضيع وقتك هباء .

هبطوا السلم ، ودخلوا المطعم فوجدوه خلوا من الزبائن وبحث "باربيه" في دفتر التليفون عن رقم تليفون مدام "اوبريو" وتناول السماعة .

اجابته الخادمة بان مدام "اوبريو" قد اصابتها نوبة عصبية واغمي عليها وانها الآن طريحة الفراش . فقال لها :

– إذن دعيني اتحدث إلى والدتها ، انا "جان باربيه" المحامي .

وكان جهاز التليفون في المطعم ذا سماعتين ، فقدم السماعة الثانية إلى "جانيمار" وقال له :

– اصغ إلى حديثنا جيدا .. ولا تنطق بكلمة ..

ثم هتف في جهاز التليفون :

– أهذه انت يا سيدتي ؟

– نعم .. هل أنت مسيو "باربيه" ؟

ثم استطردت على الفور بلهجة الضراعة :

– هل من جديد يا سيدي ؟ هل يوجد ثمة امل ؟ تكلم بالله يا سيدي.

فاجابها "باربيه" :

- إن التحقيق الذي اقوم به يتقدم تقدما محسوسا فلا تياسي . لقد اتصلت بك الآن للوقوف منك على بعض معلومات على جانب عظيم من الخطورة والاهمية .. وارجو ان تجيبي عن اسئلتي بدقة وصراحة ..

هل جاء مسيو "جاستون دوتري" إلى بيتكم في يوم ارتكاب الجريمة؟

- نعم .. جاء بعد ان تناولنا طعام الغداء .

- وهل علم وقتئذ بان مسيو "جيرار" قد قبض مبلغ الستين الف فرنك؟

- نعم ، إنني انباته بذلك بنفسي ..

- وهل علم وقتئذ كذلك بان "جاك اوبريو" متعب وليس في نيته ان يتنزه بالموتوسيكل كالعادة .. وانه سيقضي بقية النهار في فراشه ؟

- نعم .

- هل انت واثقة بذلك يا سيدتي ؟

- كل الوثوق .

- وهل ذهب ثلاثتكم انت وابنتك ومسيو "دوتري" إلى دار للسينما بعد ذلك ؟

- نعم .

- وهل جلستم معا في صالة السينما ؟

- اه .. لا .. لم نجد مقاعد خالية .. فجلس مسيو "دوتري" على مبعدة منا .

- وهل كان جلوسه في مكان تستطيعان ان ترياه فيه ؟

- لا ..

- وهل رايتماه في اثناء الاستراحة بين عرض الافلام ؟

- لا ، لم نره بعد ذلك إلا عند الانصراف .

- شكرا لك شكرا لك يا سيدتي ، ساحضر إليك بعد ساعة لانهي إليك نتيجة عملي .

ثم وضع السماعة وتحول إلى "دوتري" وقال له وهو يضحك :

- ما رايك الآن ايها الشاب .. لقد تغير الموقف تغيرا محسوسا .

فنظر "جانيمار" إلى "باربيه" في دهشة لانه لم يفهم النتيجة التي خرج

بها من هذا الحديث التليفوني وساد صمت عميق ..
واخيرا التفت "باربيه" إلى "جانيمار" وقال له :
- ارجو ان تامر صاحب المطعم بإغلاق الباب .. وبالا يدع احدا يزعجنا مهما كانت الظروف .
فصدع "جانيمار" بالأمر .. ولما عاد وجد "باربيه" يسير في المكان جيئة وذهابا واخيرا وقف امام "دوتري" وقال بلهجة تنم عن السخرية:
- صفوة القول يا سيدي العزيز أن مدام "اوبريو" ووالدتها لم ترياك في المدة بين الساعة الثالثة والساعة الخامسة بعد ظهر يوم الأحد الذي ارتكبت فيه الجريمة .. هذه في الواقع حقيقة عجيبة ..
فاجاب "دوتري" :
- بل إنها طبيعية للغاية .. ولا تثبت شيئا .
- بل تثبت انك استمتعت بحريتك ساعتين كاملتين ..
- بالتاكيد . وقد قضيت هاتين الساعتين في السينما .
- او في مكان آخر .
فنظر إليه "دوتري" بحدة وقال :
- او في مكان آخر ؟
- نعم . لانك كنت حرا كما قلت لك وكان في استطاعتك ان تذهب للنزهة في اي مكان .. في "سورسن" مثلا .
- آه .. "سورسن" .. ولكن "سورسن" بعيدة .
- بل إنها قريبة جدا .. الم يكن معك موتوسيكل صديقك "جاك اوبريو" ؟
ساد الصمت مرة اخرى ، وراى "جانيمار" اهداب الفتى تتحرك بسرعة وكانه يحاول ان يفهم ، واخيرا هتف الشاب بصوت اجش :
- آه .. فهمت ماذا تعني ، يا لك من تعس .
فالقى "باربيه" بيده على كتف "دوتري" وقال :
- كفى ثرثرة ، لقد كنت انت يا "دوتري" الشخص الوحيد الذي عرف في ذلك اليوم أمرين مهمين ، اولهما ان مسيو "جيرار" يملك في بيته ستين الفا من الفرنكات وثانيهما ان "اوبريو" قد عدل عن الخروج بالموتوسيكل كما اعتاد ان يخرج . عرفت إذن هاتين الحقيقتين ،

ووضعت خطتك في الحال وكان الموتوسيكل في متناول يدك .. فتسللت من دار السينما في اثناء عرض الأفلام وانطلقت إلى "سورسن" وقتلت مسيو "جيرار" واستوليت على الأوراق المالية .. وجئت بها إلى شقتك . وفي الساعة الخامسة لحقت بالسيدتين في دار السينما.

وقد اصغى "دوتري" إلى كلام غريمه بمزيج من الدهشة والفزع . وراح ينظر إلى "جانيمار" بين الفينة والفينة كانه يستشهد به وفجاة هتف:

- هذا الرجل مجنون يا سيدي المفتش ! . انت تضيع وقتك في الإصغاء إلى هذيانه ثم استغرق في الضحك وقال:

- ما اعجب هذا ! . إذن فانا الذي رآه الجيران يروح ويغدو بالموتوسيكل؟

- نعم انت .. لانك كنت متنكرا في ثياب "اوبريو" .

- وانا الذي وجدت بصمات اصابعه على زجاجة الشراب في مكتب مسيو "جيرار" ؟

فقال "باربيه" :

- لقد كانت زجاجة الشراب على مائدة "اوبريو" في بيته وكان قد تناول بعض محتوياتها في اثناء الغداء فحملتها انت معك إلى بيت "جيرار" لتكون دليلا جديدا ضد "اوبريو" البريء .

فنظر "دوتري" إلى وجه محدثه كمن يستمتع بسماع قصة مسلية وقال :

- انت تنتقل من عجيب إلى اعجب . انت تعني إذن انني دبرت كل هذا للإيقاع بـ "جاك أوبريو" واتهامه بالجريمة ؟

- لقد كانت تلك اضمن وسيلة لإبعاد التهمة عن نفسك .

- نعم ! ولكن "جاك" كان صديقي منذ عهد الطفولة .

- انت تحب زوجته .

فوثب الشاب من مكانه وصاح وقد استولى عليه الغضب :

- اتجسر على .. هذه قحة .

- إن عندي الدليل .

- كذبت .. فإنني لم اشعر قط نحو مدام "اوبريو" بغير الاحترام ..

والإجلال.
- هذا في الظاهر . ولكنك في الواقع تحبها ، وتريدها لنفسك لا تحاول الإنكار فإن عندي الدليل كما قلت لك .
- كذبت ! . فانت لم تكن تعرفني قبل ساعة .
- إنك مخطئ فلقد كنت اتعقبك منذ ايام واتحين الفرصة للإيقاع بك واقتناصك .
ثم امسك بكتف الشاب . وهزه بعنف وصاح :
- اعترف يا "دوتري" ، اعترف ، قلت لك : إن عندي البراهين الكافية على جرمك ، وعندي شهود سادعوهم لإدانتك ! اعترف وقل : إن ضميرك يؤنبك على ارتكاب جريمتين في وقت واحد . تذكر ما أستولى عليك من الجزع وانت في المطعم ظهر اليوم عندما قرات في الصحف نبا إعدام صديقك . إنك لم تكن تريد له الإعدام . كان يكفيك ان يحكم عليه بالأشغال الشاقة اما إعدامه ، وإعدامه غدا ، وهو البريء الذي لم يرتكب إثما ، فذلك مالم تكن تتوقعه ، اعترف إذن .. اعترف لتنجو براسك .
كان "باربيه" يتكلم بحدة ، وهو منحن امام الشاب ، كانه يريد أن ينتزع منه الاعتراف انتزاعا ..
غير أن الشاب نظر إليه ببرود واحتقار وقال بصوت هادئ :
- انت مجنون يا هذا ، وليس في هذيانك كلمة واحدة تنطبق على الحقيقة ..
فهز "باربيه" قبضته في وجه الشاب بغضب وصاح :
- الا تريد ان تعترف .. صبرا إذن .
ثم انتحى بـ "جانيمار" ناحية وقال له في همس :
- ما قولك في هذا التعس ؟ إنه مجرم ثابت الجاش .
فهز "جانيمار" راسه واجاب :
- ربما .. ولكننا لا نملك حتى الآن ما يجيز لنا اتهامه .. هل انت واثق بانه الذي ارتكب الجريمة ؟
- لا يمكن أن يكون مرتكبها أحدا سواه .. وقد لاحظت ازدياد قلقه كلما اقتربت منه الشكوك .

- وهل كان يحب مدام "اوبريو" حقا ؟
- هذا امر منطقي .. ولكنه كان مجرد افتراض .. آه .. لو أستطيع العثور على الأوراق المالية فقط ، ولكن صبرا .. ما هذا ؟
وسمع الرجلان فجاة جلبة غير عادية ، ثم فتح الباب ودخل صاحب المطعم وهو يصيح :
- مسيو "دوتري" .. الا يزال مسيو "دوتري" هنا ؟ .. آه .. مسيو "دوتري" إن النار قد شبت في شقتك .. لقد رآها احد المارة وانبانا ..
فلمعت عينا الشاب بسرعة .. وارتسمت على شفتيه شبه ابتسامة..
ولم تستغرق هذه الابتسامة اكثر من ثانية واحدة .. ولكن "باربيه" لاحظها ، وادرك معناها .
صاح في غضب :
- تبا لك ايها الشقي .. لقد فضحت نفسك .. إنك انت الذي اشعلت النار في شقتك .. وها هي ذي الأوراق المالية تحترق الآن .
ووثب الفتى من مكانه ليصعد إلى شقته غير أن "باربيه" وقف في طريقه ومنعه من الخروج .
صاح "دوتري" :
- دعني ايها المعتوه ، إن النار تلتهم بيتي ولا يوجد من يستطيع الدخول لأن المفتاح معي . خذ هذا المفتاح . دعني أمر . فانتزع "باربيه" المفتاح من يده وقال :
- لا تتحرك من هنا ايها العزيز . لقد ربحنا الشوط .
ثم اخرج من جيبه مسدسا وضعه في يد صاحب الحانة وهو يقول:
- ابق في حراسة هذا الرجل وحذار ان يفلت منك وإذا حاول الفرار فاطلق عليه الرصاص . هلم معي يا "جانيمار" .
صعد "باربيه" و"جانيمار" السلم على عجل وقال الثاني ممتعضا :
- يستحيل ان يكون هو الذي أشعل النار في شقته لأنه قضى الوقت معنا ولم ينتقل من مكانه .
- إنه اشعل النار في الشقة سلفا .
- كيف ذلك .. كيف ؟ !
- لا اعلم . ولكن ليس من الطبيعي ان تشتعل النار بلا مبرر في ذات

الوقت الذي يخشى فيه الإنسان ضبط أوراق تدينه ..

وسمعا ضجة شديدة في الطابق الخامس .

كان خدم الشقة يحاولون تحطيم باب الشقة فلما اقترب "باربيه" و"جانيمار" من ذلك الباب امتلأ انفاهما برائحة حادة وصاح "باربيه" بالخدم :

- افسحوا السبيل .

ووضع المفتاح في قفل الباب واداره . ففتح الباب .. وانفجرت منه سحب كثيفة من الدخان ، حتى خيل للقوم ان الشقة ذهبت طعمة للنيران .

بيد أن "باربيه" لاحظ في الحال أن النار قد خبت من تلقاء نفسها إذ لم تجد ما تلتهمه ، وقال محدثا "جانيمار" :

- مر هؤلاء الناس بالا يدخلوا ، فإن اي عبث قد يذهب باثر الادلة ، والافضل أن تغلق الباب .

دخل "باربيه" الشقة أولا ، واهتدى في الحال إلى المكان الذي انحصر فيه الحريق .

كانت تعلو الجدران وقطع الأثاث طبقة سوداء من تاثير الدخان .. ولكن شيئا منها لم تصل إليه النار .

والواقع ان النار لم تلتهم غير كومة من الورق امام النافذة وقد احالتها كلها إلى رماد .

ضرب "باربيه" جبهته بيده وهتف :

- ياإلهي .. ما اشد غباوتي .. ما اشد غباوتي ..

- ماذا ؟

- علبة الورق التي يضع فيها الشقي قبعته بقصد صيانتها من الغبار .. في هذه العلبة كان يخفي الأوراق المالية .. وكانت الأوراق المالية فيها عندما فتشنا الشقة .

- مستحيل ..

- بل ذلك هو الواقع ، إن الإنسان يغفل دائما عن تفتيش هذا المخبا الذي هو اظهر المخابئ واقربها إلى الأيدي .

- والواقع .. من ذا الذي يتصور أن يترك اللص ستين الفا من

الفرنكات في علبة من الورق ظاهرة للعيان ؟

- إن حيلته جديرة بالإعجاب . فقد وضع قبعته في العلبة عندما دخل فاخفى تحتها غنيمته .. ثم تناول القبعة عند انصرافنا فلم نلاحظ شيئا .

فظهرت على وجه "جانيمار" علامات الارتياب وغمغم قائلا :

- لا .. مستحيل .. لقد كنا معه هنا وفي المطعم .. ولا يمكن أن يكون هو الذي أشعل النار ..

- إنه أعد كل شيء استعدادا للطوارئ .. ولابد أن يكون قد بلل العلبة والأوراق المالية بمادة ملتهبة .. فلما انصرف معنا .. ألقى على العلبة عود ثقاب.. أو مادة كيميائية لا أدري ما هي فحدث الحريق .

فقال "جانيمار" :

- لو أنه فعل ذلك لرأيناه .. وبعد .. فليس من المعقول أن يرتكب جريمة قتل ليسرق ستين ألف فرنك ثم يبيد الأوراق المالية بهذه الصورة . وما دام قد نجح في إخفاء الغنيمة بحيث لم تعثر عليها ، فما الذي يحمله على التخلص منها بلا مبرر ؟

- إنه كان خائفا يا "جانيمار" ، ولا تنس أن المسألة بالنسبة إليه مسألة موت أو حياة . إنه يضحي بكل شيء لينقذ رأسه من المقصلة .. وقد كانت هذه الأوراق المالية هي الدليل الوحيد الذي يثبت جريمته فكيف لا يبيد هذا الدليل ؟

فدهش "جانيمار" وسأل :

- كيف تقول إنها الدليل الوحيد ؟

- بالتأكيد ، إنها الدليل الوحيد .

- والشهود الذين تكلمت عنهم ، والأدلة التي كنت تلوح بها ؟

- كل هذه لا وجود لها .

فعض "جانيمار" على شفتيه وغمغم :

- يا إلهي ما أشد جرأتك !

- إذا فاتتك الأدلة للإيقاع بالمجرم ، فإن الجرأة والتفكير السليم يقومان مقام الأدلة .

قال ذلك وراح يفحص ما تخلف عن الحريق ، ثم غمغم :

– لا شيء غير الرماد .. ولكن كيف استطاع هذا الشيطان ان يشعل النار في هذه العلبة ؟

واخذ يسير في الغرفة جيئة ونهابا .. وشعر "جانيمار" بان هذا الرجل الداهية غريب الأطوار يعصر ذهنه .. ويبذل جهود الجبابرة لكي ينفذ ببصيرته إلى ما وراء الحجب ..

ساله بشيء من السخرية :

– هل انهارت خطتك يا صاح ؟

– لا .. لم افقد كل امل . لقد شعرت باليأس منذ لحظة اما الآن ..

ولمعت عيناه .. واخذ يبحث في انحاء الغرفة .. حتى وجد علبة من الورق شبيهة بتلك التي احترقت .. فوضعها فوق الرماد واشعل فيها النار حتى احترق نصفها تقريبا . ثم اخرج من جيبه بعض الأوراق المالية .. واشعل فيها النار كذلك حتى التهمتها إلا بعض اطرافها .

نظر بعدئذ إلى "جانيمار" وثم قال وهو يبتسم :

– إنني الآن بحاجة إلى معونتك يا "جانيمار" وكل ما اطلبه منك الآن هو ان تذهب إلى "دوتري" وتقول له هذه الكلمات "لقد افتضح امرك يا صاح والأوراق المالية لم تحترق كلها .. فاتبعني" واحضره إلى هنا .

فتردد "جانيمار" لحظة .

أدرك طرفا من حيلة "باربيه" . ولم يطوّع له ضميره ان يشترك معه في إنفاذها.. لأنها تقوم على التهويش والدجل فهي في نظره حيلة غير مشروعة ..

تحول إلى "باربيه" . ونظر إليه كمن يريد ان يقول له :

– الا تكف عن العمل بهذه الأساليب ؟

وفهم "باربيه" معنى نظرته . وادرك سبب تردده . فابتسم وقال له :

– لا تنس يا "جانيمار" ان المسالة مسالة حياة او موت .. وان هناك بريئا سيعدم غدا صباحا .. وإذا لم نتمكن هذه الساعة من اقتناص المجرم الحقيقي... الم اقل لك مرارا إنني لا ابغي قط غير إحقاق الحق.. ومساعدة الأبرياء وتمكين العدالة من وضع يدها على المذنبين ؟

فتنهد "جانيمار" . وانصرف نزولا على إرادة "باربيه" .

اما هذا الأخير . فإنه لم يكد يخلو إلى نفسه .. حتى جلس على احد

المقاعد واجال بصره حوله في نظرة احاط فيها بكل محتويات الغرفة
واستقرت عيناه اخيرا على بقعة من الضوء في حجم قطعة النقود
كانت تارة تبدو على ارض الغرفة واضحة ساطعة وتتلاشى تارة
اخرى كلما حجبت السحب قرص الشمس .

حملق "باربيه" طويلا إلى هذه البقعة ، وقطب حاجبيه .. وفكر
لحظة.. ثم انبسطت اسارير وجهه فجاة وقال :

- ياله من داهية .

وفي هذه اللحظة .. عاد "جانيمار" وبرفقته "دوتري" . فنهض "باربيه"
من مكانه . وسار إلى الشاب . وامسك بساعده ونظر في وجهه طويلا
ثم انفجر ضاحكا . وقال :

- مرحى يا فتى . إنك ابرع مما كنت اظن ففكرة العلبة وإناء الماء
وقرص الشمس لا تخطر إلا ببال الشيطان .

فغمغم "دوتري" في شيء من الاضطراب :

- بماذا تهذي يا هذا ؟

فقال "باربيه" بلهجة جادة :

- اصغ إلي يا فتى .. إن النار لم تلتهم غير جزء من العلبة ..
والتهمت الأوراق المالية إلا اطراف عدد قليل منها . هل فهمت ؟ الأوراق
المالية المسروقة؟ الأوراق المالية التي هي اهم دلائل الجريمة . إن
اطراف بعضها لم تلتهمها النيران .. وها هي ذي وارقامها لا تزال
ظاهرة .. خذ وانظر .. إنك ضعت يا صديقي العزيز . ومن العبث أن
تكابر او تنكر .

فامتقع وجه الفتى ودارت عيناه في محجريهما بقلق وذعر واطرق
براسه ولم يجب .

لم يفحص العلبة .. ولم يفحص الأوراق المالية .

كانت المفاجاة اعظم مما توقع .. فاضطرب ذهنه . ولم يسعفه
بجواب .

شعر بان غريمه قد تغلغل في اعماق نفسه .. وفضح سرا كان يعتقد
انه بمامن من الافتضاح .

كان صمته وإطراقه بمثابة الاعتراف .

بيد أن "باربيه" لم يترك له فرصة للتفكير والاستعداد بل استانف هجمته العنيفة وراح يقول :

- لا يزال في استطاعتك ان تنقذ راسك من المقصلة ايها التعس ووسيلتك الوحيدة لذلك هي أن تعترف كتابة وتزعم انك تكتب الاعتراف تحت تاثير وخز الضمير.. وسوف يضع رجال العدالة ندمك موضع الاعتبار خصوصا انه جاء في الوقت المناسب لإنقاذ بريء من الإعدام .. إليك القلم .. والورق .. فاكتب اعترافك .. إنك كنت في الحق سيء الحظ يا فتى رغم أن حيلتك الأخيرة كانت مدبرة أعجب تدبير .. اليس كذلك ؟

كانت الأوراق المالية عندك .. وكنت تعلم انها اهم دليل ضدك .. فلما رأيت الريب والشكوك تحوم حولك خطر لك في الحال ان تتخلص من هذه الأوراق.. فماذا تفعل ؟

ليس أسهل من الالتجاء إلى حيلة لابد انك جربتها مرارا استعدادا للطوارئ ولابد انك ايقنت صلاحيتها فوضعت على حافة النافذة إناء ماء مستديرا.. مصنوعا من البللور السميك .. فسقطت اشعة الشمس من النافذة على الإناء .. واصبح الاناء عندئذ بمثابة عدسة تجمع اشعة الشمس في بقعة واحدة .

وقد دبرت كل شيء سلفا بحيث تسقط هذه البقعة على علبة الورق . وقد كان ذلك هو السر في غضبك واحتجاجك عندما كنت انقل اي شيء من موضعه في اثناء التفتيش .

تركزت إذن بقعة الأشعة على جدار العلبة .. وهو جدار مصنوع من الورق ومغطى بطبقة رقيقة من الحرير .

ولم تكد تنقضي بضع دقائق حتى التهبت طبقة الحرير بحرارة بقعة الأشعة فاحترقت واحترق معها نصف العلبة ، وبعض الأوراق المالية ولولا اننا جئنا في الوقت المناسب لتلاشى كل دليل لجريمتك .

حيلة بديعة رائعة . يجب ان اهنئك عليها .

والآن .. إليك القلم والورقة .

دفن "دوتري" وجهه بين كفيه . ورأى "جانيمار" دموع الياس تنحدر من بين أصابعه فنظر إلى "باربيه" نظرة من يقول : "يا لك من شيطان" .

بيد أن "باربيه" كان يريد أن ينفض يده بأسرع ما يمكن .. فانحنى فوق "دوتري" وقال :

– اكتب ولا تضيع آخر فرصة للنجاة من الإعدام . إن الأدلة ساطعة ساحقة . ولم يعد في مقدورك الخلاص من تبعة الجريمة .

فتناول الفتى القلم ، وكتب ما أملاه عليه "باربيه" . وطوى "باربيه" وثيقة الاعتراف . ودفعها إلى "جانيمار" وهو يقول :

– هو ذا قاتل "جاك أوبريو" . وها هو ذا اعترافه .

فغمغم "جانيمار" :

– هذه هي أول مرة تعمل فيها لوجه الحق .

فقال "باربيه" وهو يبتسم :

– بل قل إنها أول مرة أخرج فيها خاسرا . فلقد ضحيت ببعض الأوراق المالية لأحصل على اعتراف هذا التعس ..

(تمت بحمد الله)